الأدب الممدوح
في تهذيب كتاب الفتوح

هذَّبه الفقير إلى الله
محمد السُليمَان العُليّط
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ

ح محمد السليمان العليّط ١٤٢٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العليّط ، محمد السليمان

الأدب الممدوح في تهذيب كتاب الفتوح /

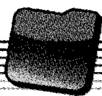
محمد السليمان العليّط — الرياض ، ١٤٢٩ هـ

ردمك : ٥- ٠٤٩٣- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

١- الزهد أ. عنوان

ديوي ٢٦٧,٤ ٢٥٧٦ / ١٤٢٩

٦٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل العلماء قادة، ومجالسهم زيادة ، وجعل مواعظ القرآن لقلوب المريدين أنوار وقّادة ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه وذريته وزوجاته ، أما بعد :

فإن الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله قد ألف كتابًا نفيسًا وسماه : (فتوح الغيب) ، قال رحمه الله تعالى : (معناه إن الله ﷻ قد يفتح على بعض أوليائه من الكرامات والفراسة ما قد يخفى على غيرهم، مثل ما جرى لعمر رضي الله عنه وغيره) .

وهذا الكتاب عجيب في فنِّهِ، وقد هذبته ، وحذفت منه ما يُشكل على البعض وأضفت عليه بعض الإضافات من أجل التوضيح والتقريب ، وسمّيته: **(الأدب الممدوح في تهذيب كتاب الفتوح)** .

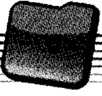
وفيه حِكَمٌ، ومواعظ، وآداب، ونُكتٌ، وعجائب، ورقائق ، وكلام نفيس، ومؤنس للجليس .

اللهم انفع به من جمعه، ومن قرأه، ومن نَشَرَهُ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه الفقير إلى الله

محمد السليمان العليط

غفر الله لو ولوالديه والمسلمين



نبذة مختصره من ترجمة الإمام عبد القادر رحمه الله

اسمه ونسبه ومولده :

هو الإمام العالم الزاهد أحد كبار الحنابلة في زمنه أبو محمد عبد القادر بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلي ، ولد بجيلان سنة (٤٧١) هـ.

شيوخه :

تفقه على أبي سعد المُخرِّمي، وسمع من: أبي غالب الباقلاني ، وأحمد بن المظفر بن سوس ، وأبي القاسم بن بيان وغيرهم .

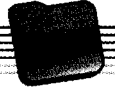
تلاميذه :

حدث عنه السَّمعاني ، وعمر بن علي القرشي ، والحافظ عبد الغني ، والشيخ موفق الدين ابن قدامه ، والشيخ علي بن إدريس ، واحمد بن مطيع الباجسرائي وغيرهم كثير.

أقوال العلماء فيه:

قال ابن السَّمعاني : (هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح ديِّن، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، وكان يسكن في مدرسته بباب الأزج).

وقال ابن الجوزي : كان أبو سعيد المخرمي قد بنى مدرسةً لطيفة بباب الازج ، ففوضت إلى عبد القادر ، فتكلم على الناس بلسان الوعظ ، وظهر له



صمت بالزهد ، وكان يتوب في مجلسه خلق كثير .

وسئل الشيخ موفق الدين ابن قدامه عن الشيخ عبد القادر فقال : أدركناه في آخر عمره ، فأسكننا في مدرسته ، وكان يعتني بنا ، وربما أرسل إلينا ابنه يحيى ، فيسرج لنا السراج ، وربما يرسل إلينا طعاما من منزله ، وكان يصلي الفريضة بنا إمامًا ، وكنت أقرأ عليه من حفظي من كتاب الخرقي غدوة ، ويقرأ عليه الحافظ عبد الغني من كتاب " الهداية " ، وما كان أحد يقرأ عليه في ذلك الوقت سوانا ، فأقمنا عنده شهرًا وتسعة أيام ، ثم مات ، وصلينا عليه ليلاً في مدرسته ، ولم أسمع عن أحدٍ يُحكى عنه من الكرامات أكثرَ مما يحكى عنه ، ولا رأيت أحدًا يعظّمه الناس للدين أكثر منه ، وسمعنا عليه أجزاء يسيرة .

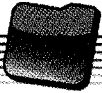
قال عنه الذهبي : وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن ، وعليه مآخذٌ في بعض أقواله ودعاويه ، وبعض ذلك مكذوب عليه .

ذكر وفاته :

عاش الشيخ عبد القادر تسعين سنه ، وانتقل إلى رحمة الله في عاشر ربيع الأخر سنة إحدى وستين وخمس مئة ، وشيّعه خلق كثير لا يحصون ، ودفن في مدرسته ، رحمه الله رحمةً واسعة وعفا عنا وعنه ، وجمع بيننا وبينه في مقعد صدق عند مليك مقتدر [1].

---

(١) من كتاب سير أعلام النبلاء (بتصرف يسير) .



المَقالات

المقالة الأولى

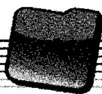
قال رحمه الله :

لا بد لكل مؤمن في سائر الأحوال من ثلاثة أشياء : أمرٌ يمتثلهُ، ونهيٌ يجتنبهُ، وقَدَرٌ يرضى به، فلا يخلو المؤمن من أحد هذه الثلاثة، فينبغي أن يُلزم نفسه همَّها؛ وليُحدِّث بها نفسه، ويأخذ الجوارح بها في سائر أحواله.

المقالة الثانية

قال رحمه الله :

اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تَمْرقُوا، ووحِّدوا ولا تشركوا، ونزِّهوا الحق ولا تتهموا، وصدِّقوا ولا تشكُّوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تنفروا، واسألوا ولا تسأموا، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا، وتآخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تفرَّقوا، وتحابوا ولا تباغضوا، وتَطَّهروا من الذنوب؛ وبها لا تتدنسوا وتلطخوا، وبطاعة ربكم فتزيَّنوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا، وعن الإقبال عليه فلا تتولّوا، وبالتوبة فلا تُسَوِّفُوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملّوا؛ لعلكم أن تُرحموا وتسعدوا، وعن النار تُبعَدوا، وفي الجنة تُحْبَرُوا، وإلى الله تَصِلُوا، وفي النعيم وافتضاض الأبكار في دار السلام تُشغلوا، وعلى ذلك أبدًا تُخلدوا، وعلى النَّجَائِبِ تركبوا، وبغناء الحور تُحْبَرُوا، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في عليين تُرفعوا.



المقالة الثالثة

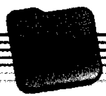
قال رحمه الله :

وإذا ابتلي العبد ببَلِيَّةٍ ولم يجد أحدًا يعالجه من أهل الطب والعَالِمين في علاج الأمراض؛ رجع إلى ربه وخالقه بالدعاء والتضرع والثناء، وانطرح بين يديه مُدِيمًا للسؤال، والدعاء، والافتقار مع الخوف والرجاء؛ فيصير مُوقِنًا ومُوحِّدًا ضرورة. فيقطع الأطماع على الحقيقة إلا عن الله، فلا مُحَرِّك ولا مُسَكِّن إلا الله، ولا خير ولا ضر، ولا نفع، ولا عطاء ولا منع، ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عِزَّ ولا ذُلَّ، ولا غنى ولا فقر؛ إلا بيد الله ﷻ، وتعالى جَدُّه، فيصير العبد كالطفل بيد ضِئْرِهِ والميت بيد الغاسل، فيكون غاب عن نفسه في فعل مولاه، إن أبصرَ؛ أبصرَ للّهِ ببصر مخلوقاته، وإن سَمِعَ؛ سمعَ كلام الله وحكمته، وبنعمته نَعِمْ، وبقربه سَعِد، وبوعده صدَّقَ وسَكَن، وبكلامه أَنِس، وعن غيره استوحشَ ونَفَر، وإلى ذكره لجأ ورَكَن، وبهِ ﷻ وَثِق، وعليه توكل، وبنور معرفته اهتدى وتقمَّص وتسربل، ثم حَمِدَ وأثنى، وشَكَرَ ودعا.

المقالة الرابعة

قال رحمه الله :

إذا أعرضت عن التعلُّقِ بالخلق، وأقبلت على الخالق ؛ رحمك الله وأبعدك عن هواك. وإذا ابتَعَدْتَ عن هواك رحمك الله - إن شاء- وأبعدك عن إرادة نفسك ومُنَاها. فإذا أبعدك عن هوى نفسك ومُنَاها؛ فَحِينَئذٍ تحيى حياة طيبة

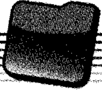


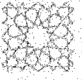
لا موت بعدها ، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل٩٧] ، وتَغْتَنِي غِنَىً لا فقر بعده، وتُعطى عطاءً لا منع بعده، وتستريح راحةً لا شقاء بعدها ، وتنعم نعيمًا لا بؤس بعده، وتعلم علمًا لا جهل بعده، وتأمن أمنًا لا خوف بعده، وتسعد ولا تشقى، وتعز ولا تذل، وتقرَّب ولا تبعد ، وترفع ولا توضع، وتعظم فلا تحقر، وتطهَّر فلا تدنس، فتحقق فيك البركة، وتصدق فيك الأقاويل، فتكون مثل الكبريت الأحمر، ويُسارع إليك بالدعاء والثناء الحسن الجميل والخدمة، ويحبك كل من يحب الله ورسوله من أهل الإيمان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

 المقالة الخامسة

قال رحمه الله :

إذا رأيت الدنيا في أيدي أربابها بزينتها ، وأباطيلها ، وخدعها ، ومصائدها ، وسمومها القاتلة مع لين مَسِّها ، وضراوة باطنها ، وسرعة إهلاكها ، ونقض عهدها؛ فَكُنْ كمن رأى إنسانًا على أشد جيفة فيه دودٌ ونتنٌ، فإنك تغضُّ بَصَرَك عنه، وتسد أنفك من رائحته. فأنت غُضَّ بصرك عن زينتها ، وخذ حذرك لتنجو منها ، ومن آفاتها ، ويصل إليك قسمك منها وأنت في راحة وهنَاء، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه ١٣١] .





المقالة السادسة

قال رحمه الله :

اِستَغنِ عن الخلق بحكم الله؛ وعن هواك بأمر الله ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة ٢٣]، معنى الغنى عن الخلق: أي انه يلهوا عنهم ولا يُهِمُّونَهُ لا بخوفٍ ولا رجاءٍ ، والغنى عن هواك تتركه إذا خالف أمر الله ولو كرهت نفسك ذلك : فحينئذٍ تصلح أن تكون وعاء للعلم، فالله كما تولاّك أولاً برَحِمِ الأمِّ، يتولاك آخرًا ، وتكون ساكن الجوارح، مطمئن القلب، منشرح الصدر، منَّور الوجه، عامر الباطن، غنيًا عمن سوى الله، ويُعَلِّمُكَ ربك، ويكسوك نورًا ، وينزلك منازل من سلف من أهل العلم والبصيرة، فتكون منكسرَ القلب بين يدي مولاك، فلا يكن فيك شهوة مخالفة ولا إرادة، فتكون مثل الإناء المُنْثَلِم الذي لا يثبت فيه مائع ولا كَدِر، فلا يقبل باطنك شيئًا غير ما يريد الله فتدخل حينئذٍ في زمرة المُنكَسِرة قلوبهم لله ﷻ .

ولا تكون في هذه المنزلة الرفيعة حتى تتكسر جملة هواك وإرادتك إلى أن يبلغ الكتاب أجله؛ فيحصل اللقاء، وجاء عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ : (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)[1].

فإذا فنيت عن الخلق، والخلق فيهم خير وشر، وأنت فيك خير وشر، وكل هذا من قدر الله فيؤمنك الله من شر ما قدّر، ويغرقك في بحار خيره فتكون وعاء لكل خير، ومنبعًا لكل نعمة وحبور وسرور ونور وأمن وسكون. وهذا هو الذي انتهى إليه سير الأولياء وهي الاستقامة التي طلبها من تقدم من الصالحين والعلماء - رحمهم الله- .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١٣٧)، (٥/٢٣٨٤) وغيره، من حديث أبي هريرة.

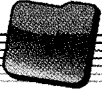
المقالة السابعة

قال رحمه الله :

أُخرج من نفسك وهواك، وسلّم الكلَّ إلى الله، فكن بوابة على قلبك ، وامتثل أمره فلا تدخل الهوى على قلبك بعد أن خرج منه، فإخراج الهوى من القلب هو بمخالفته وترك متابعته في جميع الأحوال، وإدخاله على القلب هو بمتابعته وموافقته ، فلا ترد إرادة غير إرادته ﷻ ، وغير ذلك يكون تمني، وهو وادي الحمقى وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابك عنه، أحفظ أبدًا أمره، وانْتَهِ أبدًا عن نهيه، وسلّم أبدًا إليه مقدوره ولا تشرك به أحدًا من خلقه فإرادتك وهواك ونفسك الأمارة كلها من جملة خلقه، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف ١١٠] **، وليس الشرك عبادة الأصنام فقط، بل حتى متابعتك لهواك يدخل فيها، فاحذر ولا تركن وخف ولا تأمن، وفتش ولا تغفل فتطمئن، ولا تَنْسِب إلى نفسك حالاً ولا مقامًا فإن أُعطيت حالاً أو أُقمت في مقام فلا تخبر أحدًا بشيء من ذلك، فإن الله ﷻ كل يوم هو في شأنٍ في تغيير وتبديل، فيُزِيلَكَ عما أَخْبَرْتَ به، فإن كان ثَبَاتٌ وبَقَاءٌ فتعلم أنه موهبة منه ﷻ وتسأله التوفيق والزيادة، وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم وتيقظ وتأديب فاستغفر الله وتب إليه، قال ﷺ:** (إنه لَيُغَانُ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)[1]. **كان ﷺ يُنقل من حال إلى حال أخرى ويُسرى به في منازل القرب ، وتجدد عليه خلع الأنوار فيُلَقّن الاستغفار عليه الصلاة والسلام .**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٧٠٢) (٢٠٧٥/٤) وغيره ؛ من حديث أبي بردة عن الأغر المزني -رضي الله عنهما- . وأما معنى (لَيُغَان): فقد قال الحافظ في الفتح (١٠١/١١): (قال عياض: المراد بالغين: فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتَرَ عنه لأمرٍ ما عَدَّ ذلك ذَنبًا فاستغفر عنه، وقيل: هو شيء يعترى القلب مما يقع من حديث النفس، وقيل: هو السكينة التي تغشى قلبه؛ والاستغفار لإظهار العبودية لله والشكر لما أولاه: وقيل: هي حالة خشية وإعظام؛ والاستغفار شكرها). وانظر: كلام النووي على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم (٢٣/١٧).



المقالة الثامنة

قال رحمه الله :

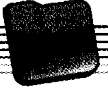
إذا كنت في حالٍ فلا تختر غيرها لا أعلى منها ولا أدنى، ولا ترفع نفسك تُعِزُّها، لأن الله هو الذي يقيمك مقام العز قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر ١٠] ، من أراد العزة فليطع العزيز ، فاعمل بما يرضي ربك حتى يجعلك في مقام لا تزل عنه، فتعلم حينئذٍ أنه موهبة من الله بعلامات تظهر لك من أحوال الأولياء والصالحين .

المقالة التاسعة

قال رحمه الله :

ومما يكشف للأولياء وأهل الصلاح من أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات ؛ وتكون تلك المكاشفة : إجلال وجمال، فالإجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج في القلب ويظهر على الجوارح كما روي عنه ﷺ أنه: (يُسمع من صدره أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرْجَل في الصلاة)[1] ، وأما مشاهدة

(١) رواه النسائي في سننه (١٢١٤)(٣/١٣)، وأبو داود (٩٠٤)(١/٢٣٨)؛ إلا أن فيه (كأزيز الرحى)، وأحمد في المسند (١٦٣٦٩)(٤/٢٦)، والحاكم في مستدركه (٩٧١)(١/٣٩٦)؛ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وابن حبان في صحيحه (٦٦٥)(٢/٤٣٩)،(٧٥٣)(٣/٣٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٠٠) (٢/٥٣)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤٣٦) (٩/٤٦٢) ؛ وغيرهم من حديث عبد الله بن الشخير ﷺ ، وقال الحافظ في الفتح (٢/٢٠٦): (إسناده قوي)، ثم قال: (والمرجل -بكسر الميم وفتح الجيم- القدر إذا غَلَتْ، والأزيز -بفتح الهمزة بعدها زاي ثم تحتانية ساكنة ثم زاي أيضًا-: وهو صوت القدر إذا غَلَتْ، وفي لفظ: كأزيز الرحى).



الجمال فهو ما يحصل في القلوب من الأنوار والسرور والألطاف والبشارة بالمواهب، والقرب منه ﷻ ، فضلاً من الله ورحمة وثبات منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل، فيفعل ذلك بهم لطفًا ورحمة ومداواة وتربية لقلوبهم إنه حكيم عليم . ولهذا رُوي أنه ﷺ كان يقول : (يا بلال! أَقِم الصلاة أَرِحْنَا بها)[1] لمشاهدة ما ذكرنا من الجمال قال ﷺ : (وجُعِلَت قُرَّة عَيني في الصلاة)[2].

المقالة العاشرة

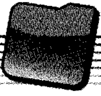
قال رحمه الله :

إنما هو الله ﷻ هو المخاطِبُ وأنت المخاطَبُ، والنفس ضد ما يريد الله بك من الخير، وللنفس ادّعاءٌ وتمنٍ وشهوةٍ ولذَّة، فإذا كنتَ خصيم نفسك تَحَقَقتْ حينئذٍ موالاتك لله ﷻ فتكون عزيزًا مكرّمًا ، وخَدمَتْكَ الأشياء وعَظَّمتكَ، لأنها كلها تابعة لربها موافقة له؛ إذ هو خالقها ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم ٩٦] ، واعلم أن العبادة كل العبادة في مخالفة هوى نفسك قال تعالى ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص ٢٦] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٥)، (٤٩٨٦) (٤/٢٩٦)، والطبراني في الكبير (٦٢١٤)(٦/٢٧٦)، (٦٢١٥)(٦/٢٧٧)؛ وغيرهم.

(٢) رواه النسائي في سننه (٣٩٣٩)،(٣٩٤٠) (٧/٦١)، والحاكم في المستدرك (٢٦٧٦)(٢/١٧٤)؛ وقال: (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه). وأحمد في المسند (١٤٠٦٩)(٣/٢٨٥)؛ وغيرهم من حديث أنس بن مالك ﷺ . قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٣/١١٦): (إسناده حسن).



المقالة الحادية عشرة

قال رحمه الله :

إذا احتاج الإنسان إلى الزواج وهو فقير ، وصَبَرَ وانتظر الفرَج من الله، أعانه الله وصانَهُ من ثقلٍ في الدنيا وتَبِعةٍ في الآخرة، وجعله الله صابرًا شاكرًا ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر١٠]. فَلازِم الصبر، وخالفِ الهوى، وعانق الأمرَ، وارْضَ بالقضاء.

المقالة الثانية عشرة

قال رحمه الله :

إذا أعطاك الله مالاً فَشُغِلْتَ به عن الله حَجَبَكَ الله في الدنيا عن طاعتهِ والتقرب له بما يجب، وربما ذهب عنك مالُكَ عقوبة من اللهِ ؛ لكونكَ اشتغلتَ بالنعمة عن المنعم .

المقالة الثالثة عشرة

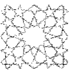
قال رحمه الله :

تنقّل في منازل العبودية؛ الذي أولها: التوبة النصوح، وداوم الذكر، والإحسان إلى عباد الله، يبلغك الله إلى طريق المقربين، وتصل حينئذٍ إلى طريق من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا في جوار العليِّ



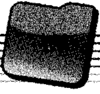
الأعلى ﷻ ، وتعاين من سبق إلى الفضائل في حياته وأدركها ، ووجدوا الخير والسرور والكرامة والحبور ، فاعمل وسارع وتصبَّر وتجلَّد ، وتحرَّك ولا تسكن ، بل ابذل مجهودك وأنِبْ إلى ربك ، فإن الأمر عظيم وكبير ومُهمّ.

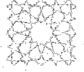
ولا تكفر بالذي خلقك من تراب وربَّاك ، فإنك إذا تابعت أمره ، يسَّر لك أمرك ، وإذا كرهت ما نهى عنه فَرَّت منك المكاره أين ذهبتَ وحللتَ ، وإذا جاء ما نهى الله عنه من شهوات من قول أو فعل أو غير ذلك ، فكن كأنك مسترخي المفاصل ، مسكن الحواس ، منخلع القلب ، زائل الهوى ، خالي البيت لا حس ولا أثر ، فليكن سمعك كأنه أصم وبصرك كأنه معصب ، وشفتاك كأن بها وجع ، ولسانك كأنه أخرس ، ويداك كأن بهما شَلَلاً عن البطش ، وفرجك كأن به عُنَّة ، واشرب هذه الشربة وتَغذَّ بهذا الغداء تنجع وتشفى من أمراض الذنوب ، وعلل الأهواء بإذن الله تعالى .

 المقالة الرابعة عشرة

قال رحمه الله :

لا تَدَعْ حالة الصالحين يا صاحب الهوى! أنت تعبد هواك وهم عبيد مولاهم ، أنت رغبتك في الدنيا وهم رغبتهم في العقبى ، أنت تأنس بالخلق وهم يأنسون بالحق ، أنت متعلق بمن في الأرض وهم متعلقون برب العرش ، هم فازوا بالنجاة وأنت مرتهن بما تشتهي وتهوى ، لازموا الخير وواظبوا عليه بتوفيق من الله وفضل؛ فصارت الطاعة لهم روحًا وغذاء وصارت الدنيا في حقهم نعمة ، حيث جعلهم ربهم أوتادًا للأرض ، فعليهم مِنَّا سلام الله وتحياته ما دامت الأرض والسماء.





المقالة الخامسة عشرة

قال رحمه الله :

رأيت في المنام: (موضعًا يشبه مسجد ، وفيه أناس منقطعون (يعني للعبادة) فقلت: لو كان لهؤلاء فلان يؤدبهم (يعني: يرشدهم) فأشرت إلى رجل من الصالحين، فاجتمع القوم حولي؛ فقال واحد منهم: فأنت (يعني: تكلم)، فقلت: إن رضيتموني لذلك ، ثم قلت: إذا انقطعتم عن الخلق إلى الحق فلا تسألوا الناس شيئا بألسنتكم، فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم، فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان، ثم اعلموا أن الله كل يوم هو في شأن في تغيير وتبديل ورفع وخفض، فقوم يرفعهم إلى عليين وقوم يحطهم إلى أسفل السافلين، **فخوَّف** الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين، **ورجَّاهم** أن يبقيهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع، **وخوَّف** الذين حطهم إلى أسفل السافلين أن يبقيهم ويخلدهم على ما هم عليه من الحط، **ورجَّاهم** أن يرفعهم إلى عليين. ثم انتبهت). وهذه رؤيا حق كأنها علم يُعلَّم يقظة؛ لأن الذي على خير وطاعة وحب لله وطلب لمرضاته يخاف أن يكون مثل الساقطين الذين همهم لذاتهم، أو الكدَّ لمن لا ينفعهم، أو هو من أعوانهم، فتذهب اللذات وتبقى التبعات (يعني: السؤال عنها) . قال تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات٢٤] ، وهذا يَعُمُّ صغير الأعمال وكبيرها ، قال ﷻ : ﴿ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف ٤٩] ، وقدم صغيرها حتى لا يغتر أحد ، والله أعلم. وأعظم شيء الذين يضلون الناس قال ﷻ: ﴿ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل ٢٥] .

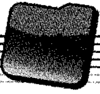
المقالة السادسة عشرة

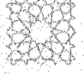
قال رحمه الله :

ما حُجِبَ أحدٌ عن فضلِ الله ونعمه إلا باتّكَاله على **الخلق والاكتساب**، فالخلق حجابك عن الأكل بالسنّة وهو الكسب من حلال الدنيا ، وما دمت قائمًا مع الخلق ، راجيًا عطاياهم ، فأنت مشرك بالله أحدًا من خلقه ، فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنّة .

فإذا تُبت من ذلك وبدأت بالكسب ، لكن توكلت عليه واطمأنت نفسك إليه ، ونسيت فضل الله ، فأنت مشركٌ أيضًا ، إلاّ أنه شرك خفي، أخفى من الأوّل ، فيعاقبك الله ويحجبك عن فضله والبداءة به .

فإذا تُبت من ذلك وأزلت الشرك عن القلب ورفعت اتِّكالك على الكسب والحول والقوة ، ورأيت أن الله هو الرزاق وهو المسبب والمسهل والمقوي على الاكتساب، فإذا بلغت هذا بادرك ربك بالخير، وغذّاك بفضله كفعل الطبيب الشفيق الرفيق الحبيب، ثم ينقطع عن القلب كل إرادة وشهوة ومطلب محبوب من حظوظ النفس، فلا يبقى في القلب سوى إرادة الله ﷻ، فإذا أراد الله أن يسوق إليك ما قسم لك، ساقه إليك عند حاجتك إليه، ثم يوفقك لشكره ويعرفك أنه مِنْهُ ، ثم إذا قوي علمك ويقينك وإنه هو الذي سهّله، انشرح صدرك وتنوَّر قلبك، ثم يزيد قربك من ربك وسكونك إليه ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت ٦٩]، وقال ﷻ: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة ٢٨٢] .





المقالة السابعة عشرة

قال رحمه الله :

إذا وصلتَ إلى الله قربت منه بتقريبه وتوفيقه، ومعنى الوصول إلى الله: هو خروجك عن هوى نفسك وعن التَّعلُّقِ بالخلق وإرادتهم، فهي حالة الفناء وهي معنى الوصول، فالوصول إلى الله ﷻ ليس كالوصول إلى أحدٍ من خلقه المعقول المعهود ، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى ١١] .

جلّ الخالق أن يشبّه بمخلوقاته أو يقاس بهم، فكن أبدًا ناظرًا إلى فعله، مترقبًا لأمره مشتغلاً بطاعته، لا تعلق قلبك بشيء من خلقه، اجعل جميع الخلق مثل: رجل صلبه سلطان وقيَّدهُ وجعل حوله أنواع السلاح، فهل يحسن من يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له ، وينظر إلى المصلوب المسجون العاجز عن أي شي ثم يخاف منه ويرجوه ! أَليسَ من فعل ذلك في قضية العقل والإدراك مجنونًا! بهيمة غير إنسان !؟.

فتعوذ بالله من العمى بعد البصيرة، والقطيعة بعد الوصول، والصدود بعد الدنو والقرب، والضلالة بعد الهداية، والكفر بعد الإيمان .

والدنيا مثل النهر العظيم الجاري كل يوم في زيادة مائه: وهي شهوات بني آدم ولذَّاتهم التي تصيبهم مثل السهام، وما يجدون من النعيم واللذة إلا مشوب بالآفات؛ كما قال ﷺ : (لا عيش إلا عيش الآخرة)[1]. فالراحة كل الراحة في الانقطاع إلى الله ﷻ والانطراح بين يديه، فحينئذٍ يكون الدلال والرأفة والراحة لطفًا وفضلاً.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٥٨٤) (١٣٨١/٣) ، ومسلم (١٨٠٥) (١٤٣١/٣) وغيرهما ؛ من حديث أنس بن مالك ﷺ ، وهو جزء من بيت ارتجز به النبي ﷺ ؛ وهو: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

المقالة الثامنة عشرة

قال رحمه الله :

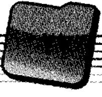
لا تشكوا مما نزل بكم من ربكم إلى أحدٍ كائنًا من كان، لا صديق، ولا عدو، لا تتهموا ربكم فيما يفعل بكم، بل أظهروا الخير والشّكر، لا تسكنوا إلى أحدٍ ولا تستأنسوا ولا تُطلِعوا أحدًا على ما أنت فيه، بل يكون أنسُكم بالله ﷻ وسكونكم إليه وشكواكم منه إليه، فإنه ليس لأحدٍ ضر ولا نفع ولا فقر ولا غنى ولا تحريك ولا تسكين، كلها خلق لله وبأمره وكل شيء عنده بمقدار، فإن شكوت وأنت معافى وعندك نعمة طالبًا للزيادة، وتعاميت عما عندك من النعمة والعافية؛ استصغارًا لها غضب الله عليك وأزالها عنك.

إياك ثم إياك، الله ثم الله ، الحذر من الشكوى، فإن أكثر ما ينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربه، كيف يُشكى من هو أرحم الراحمين وخير الحاكمين حليم خبير رءوف رحيم لطيف. قال ﷺ : (للّهُ أرحم بعباده من الوالدة على ولدها)[1].

أحسِن الأدب يا مسكين، تصبَّر عند البلاء إن ضعفت عن الصبر ثم اصبر وارض بما قسمه الله عليك ، عندها تصير مثل الكبريت الأحمر ما يماثلك أحد، أما تسمع قوله ﷻ : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة ٢١٦].

فإن طوى عنك حقيقة الأشياء فلا تسيء الأدب، اتبع الشرع في جميع ما نزل بك، رد نفسك وهواك وكف لسانك عن الشكوى، فإذا فعلت ذلك

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٦٥٣)(٥/٢٢٣٥)، ومسلم (٢٧٥٤)(٢١٠٩) وغيرهما؛ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ ، وللحديث قصة سأذكرها -واللفظ للبخاري-، قال عمر ﷺ : (قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته؛ فقال لنا النبي ﷺ : أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا؛ وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها).



أعطاك المولى حياة طيبة ولذة وسرورًا، ولا يصلح لمجالسة الكريم ﷻ إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب وأنواع النتن والأوساخ.

المقالة التاسعة عشرة

قال رحمه الله :

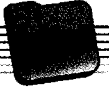
إذا وعدتَ الله وعدًا وَفِّ ولا تُخلِف وإن كنت ضعيف الإيمان ، لئلا يزول إيمانك ويذهب يقينك، فإذا قوي يقينك ذَلَّلْتَ لربك وتصير مثل الإناء المُنْثَلِم الذي لا يثبت فيه مائع، فلا يثبت فيك إرادة ولا همة إلى شيء من الأشياء سوى ما يريده الله منك ويحبه، وطهرت مما سوى الله، وأعطيت رضاك عن الله، وُوعدتَ رضوانه، ولذذتَ ونعمتَ ، وفُتحت لك أبواب المعارف والعلوم، واطلعت على دقائق الحكمة، وشرح الصدر، وتنوير القلب، وفصاحة اللسان، وألقى المحبة لك في قلوب الخليقة.

المقالة العشرون

قال رحمه الله :

على قوله ﷺ: (دَعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك)[1]: إذا اجتمع عندك شيء يريبك وشيء لا يريبك، فَخُذ بالعزيمة التي لا يشوبها ريب ولا شك ودع

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨)(٦٦٨/٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٥٧١١)(٣٢٧/٨)، وأحمد في المسند (١٧٢٣)(٢٠٠/١)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٢) (٤٩٨/٢) وغيرهم؛ من حديث الحسن بن علي -رضي الله عنهما- .



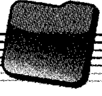
ضدها، وأما إذا تبين لك المشوب وحزَّ قلبك فتوقف فيه ، وكفَّ عن ذلك وارجع إلى الباب، وادع ربك وابتغ عنده الرزق، فهو ﷻ يطعم الكفار والمنافقين والمدبرين عنه، فكيف ينساك أيها المؤمن الموحد، المقبل على طاعته وطلب رضاه في آناء الليل وأطراف النهار؟!

وفيه وجه آخر: (دَعْ ما يريبك): دع ما في أيدي الخلق ولا تعلق قلبك به، ولا ترجوهم ولا تخافهم. وخذ من فضل الله - وهو ما لا يريبك- الذي نواصي الملوك بيده وقلوب الخلق بيده. قال ﷻ: ﴿ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء٣٢] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة ١٨٦] ، وقال ﷻ : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر ٦٠] ، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران ٣٧] ، وهذا شيء معروف لا يخفى، ولكن يقين الخلق يختلف إذا جاء الفعل؛ فمن الناس من قوله يصدقه عمله، ومنهم من قوله يكذبه عمله، والله المستعان.

المقالة الحادية والعشرون

قال رحمه الله :

لا يزال الله يبتلي عبده المؤمن على قدر إيمانه، وأشد بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ حتى يكونوا في الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة؛ لأنه تعالى يحبهم والمحبّ أبدًا لا يختار بدلاً عن محبوبه، فإذا حصل لهم هذا ذابت أهويتهم وانكسرت قلوبهم وتميز الحق عن الباطل فتؤمن بلقائه وترضى



بقضائه وتقنع بعطائه. قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم ٧]، فإذا تحركت النفس لطلب شهوة من شهوات المخالفة ولذة من لذاتها؛ فأجابها القلب إلى ذلك: حصلت منه غفلة عن الله؛ فعَمَّ الخذلان القلب والنفس من المِحَن، وتسليط الخلق والتشويش للفكر، والأوجاع، فينال كل واحد من القلب والنفس حظًا من ذلك، وإن لم يجب القلب ما تحبه النفس وعصاها عَمَّهُمَا الله بالرحمة، والبركة والعافية، والرخاء، والنور، والمعرفة، والقرب، والغنى، والسلامة من الآفات، فإذا حصل له ذلك حفظه من البلايا ومن كل شيء يزيل عنه هذا المقام الشريف والعطاء الجزيل، والله أعلم .

المقالة الثانية والعشرون

قال رحمه الله :

اِرضَ بالدون والقناعة حتى يبلغ ما قدِّر لك ، فتنتقل إلى الأعلى والأَنْفَس، وبه تهنأ وتبقى وتحفظ بلا عناء ولا مشقة، واعلم أن القسم لا يفوتك وما لا يقسم لك لا تناله بحرصك، فاصبر والزم الباب: باب مَلِكٍ عظيم، أمره شديد، نافذة مشيئته، وقاهر حكمه، ودائم سلطانه، دقيق علمه، بالغة حكمته، عدل قضاؤه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، لا يجاوزه ظلم ظالم، واحذر المعصية في الجملة في الجوارح والقلب، واترك الإثم ما ظهر منه وما بطن، لا تغفل عن ذكر الله فتُنْسَى، ولا تقل في الدين بهواك فَيُرْدِيك، ويظلم قلبك، وتُسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شياطين الجن وأعوانهم من شياطين الإنس، ويُسلّط عليك أهلك وجيرانك وأصحابك؛ حتى عقارب دارك وحيَّاتها، فَيُنَغِّصُ عليك عيشك في الدنيا، ويطيل عذابك في الآخرة .

المقالة الثالثة والعشرون

قال رحمه الله :

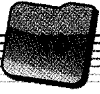
احذر معصية الله جدًا، والزَمْ بابه حقًا، وابذل جهدك وطوقك في طاعته معتذرًا منه متضرعًا إليه مفتقرًا خاضعًا متخشعًا، غير ناظر إلى خلقه، بل توكل عليه وحده لا شريك له، واقطع بأنك عبده، والعبد وما ملك لمولاه لا يستحق عليه شيء، وأَحسِن الأدب، ولا تتهم مولاك وكل شيء عنده بمقدار، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شاء الله ، ولا تطلب ولا تلهف على ما هو لغيرك، فاشتغل بحسن الأدب في طاعة مولاك ولا ترفع رأسك إلى ما سواه، قال ﷻ: ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[طه ١٣١].

فقد نهاك الله ﷻ عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه، ورزقك من طاعته ونبّهك: أن ما سوى ذلك فتنة، فليكن ذلك هو دأبك، ومتقلبك، وشعارك ودثارك، ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك تنال كل المرام، وكل خير ونعيم، وطريف ونفيس، قال ﷻ: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[السجدة ١٧]، فلا عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب أجمع ولا أعظم ولا أحب إلى الله مما ذكرت لك، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنّه وكرمه .

المقالة الرابعة والعشرون

قال رحمه الله :

لا تقل إذا كنت فقيرًا، وقد أدبرت عنك الدنيا وأهلها، أو خامل الذكر



بين ملوك الدنيا وأربابها ، أو جائعًا ، أو عريانًا ، أو مشتت الفكر ، أو غير ذلك مما لا ترضى به : قد أفقرني ربي وتركني وقلانِي ولم يعطني من الدنيا ، ولم يرفع ذكري وقد أسبل على غيري من النعم .

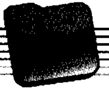
نعم قد قدر الله ذلك ، ولكن الله حكيم عليم ؛ لأجل أن يمتحن صبرك ثم رضاك عنه ويكون بعد ذلك الرضا واليقين ، وأنوار العلم والإيمان ، ويعطيك في الآخرة دار البقاء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال الله ﷻ : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة ١٧] ؛ يعني : بما كانوا يعملون في دار الدنيا من أداء الفرائض والتطوعات ، والصبر على ترك النواهي ولو كانت النفوس تميل إليها ، والموافقة لله في جميع أوامره ، ولم يكونوا من الذين ذهبت أعمارهم ودرر أوقاتهم في غرورٍ ونفعٍ لغيرهم ، يريحون غيرهم ويتعبون أنفسهم ، ويحفظون غيرهم ويضيعون حياتهم ، هو هائم وعدوه في سعيه له على الحشايا نائم .

قال بعضهم لعالم : من أخسر الناس؟ قال : الذي يُذهب دينه بدنياه ، قال : من أخسر منه؟ قال : الذي يُذهب دينه بدنيا غيره ، قال : من أخسر منه؟ قال : الذي يُذهب دينه بدنيا أعدائه .

المقالة الخامسة والعشرون

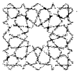
قال رحمه الله :

لا يزال البرقع والقناع على قلبك حتى تزول عن رؤية الخلق ، ويزول هواك فتستغني عن الأكوان بالله وحده ، وتكون بوّاب قلبك لا يدخله شيء يضره ،



أو يكدر صفوه، وتغنى عن الخلق وعن هوى نفسك، فإذا بلغت هذا ضُرِبَتْ حول قلبك سرادقات العز والغيرة وسلطان الحجة، فيقام حولك حرس يحفظون قلبك من شياطين الإنس والجن، والنفس والهوى، وإرادة الأماني الباطلة والدعاوي الكاذبة الناشئة من الطبع، والنفوس الأمارة بالسوء، والضلالات الناشئة من الأهوية.

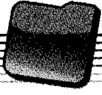
فتكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها، ولا لبس ولا خلط، فالصبر والرضاء حتى يبلغ الكتاب أجله. فيؤخذ بيدك وتُقدم وتروى من بحار الفضل والمنن، ويخلع عليك خلع الأنوار والعلوم، وأما في الآخرة ففي دار السلام والجنة العليا، والنظر إلى وجه المولى ﷻ، وهو المزيد الذي لا فوقه مزيد، وهو أعلى نعيم المقربين.

 المقالة السادسة والعشرون

قال رحمه الله :

اجعل دنياك مثل شجرة فيها ثمرة مرَّة وثمرة حلوة، فاقرب من الثمرة الحلوة واجعلها هي غذاؤك، وابعد عن المُرَّة فلا تأكل منها فتهلك بمرارتها، فإذا دمت على هذا كنت في دعةٍ وسكون وسلامة من الآفات كلها، والله هو مقدر الخير والشر، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات٩٦]، وقال تعالى ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر٦٢]

فإذا كنت مطيعًا لله، ممتثلاً أمره، منتهيًا عن نهيه، حماك عن الشر دنيا وأخرى، أما الدنيا فقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف٢٤]، أما الآخرة فقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء ١٤٧].



وإذا كنت عبدًا مؤمنًا شاكرًا ما يفعل الله بعذابك، وهو إلى الرحمة أقرب من العذاب؛ لأن العبد إذا كان شاكرًا كان إلى المزيد، كما قال ﷻ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [ابراهيم ٧] .

والإيمان يطفئ لهب النار في الآخرة التي هي عقوبة كل عاصٍ كما جاء عن النبي ﷺ: (لا يدخل النار رجل في قلبه مثقال ذرة من إيمان) [(١)].

وتكون الدولة للقلب الذي هو ملك الأعضاء، والصدر ساحته، ويصير القلب مسكنًا للتوحيد والمعرفة والعلم، وكل هذا نتيجته الصبر والاستقامة، (ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف) [(٢)]، كما أن كل من قَرُبَ إلى الملك كان اشدُّ حذرًا من البعيد؛ لأنه في مرئً من الملك، ولله المثل الأعلى، وقال ﷺ: (إنّ أتقاكم واعلمكم بالله أنا) [(٣)] فكل من قرب من الملك كان في هذه المنزلة؛ لأنه لا يخفى عليه تصاريفه وحركاته ولحظاته.

المقالة السابعة والعشرون

قال رحمه الله :

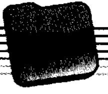
أتريد الراحة والسرور والدعة والحبور والأمن والسكون والنعيم والدلال، وأنت إلى الآن لم تسبك نفسك بالمجاهدة! ولم تنمها بترك الهوى وإزالة الإرادات! مهلاً، مهلاً! الباب مسدود مادام باقٍ عليك بقية من هواك ومناك، فإذا خرجتَ

---

(١) رواه احمد في مسنده(٨ /٢٨٦) من حديث ابي سعيد الخدري وللبخاري ومسلم نحوه.

(٢) هو من كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي الزاهد الواعظ –وهو من أقران بشر الحافي والمحاسبي–؛ فقد عزاه إليه: ابن كثير في البداية والنهاية (٣١٨/١٠)، وابن القيم في مدارج السالكين (٣٣٨/٣)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٢٨/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠)(١٦/١) من حديث عائشة رضي الله عنها وعن ابيها .



من الكير وكملَتْ صياغتك؛ تحلى وتكسى وتطيَّب وتبخَّر وتلاطف وتطعم من الفضل وتسقى منه، فتصير مثل الذهب الخالص الذي يحق أن يكون في أعلى صناديق الخزانة من وراء الأغلاق والستور، وبعدما كنت من الدباغين والقصابين والبقالين تكون من أهل مجلس الملك، فهكذا أنت يا مؤمن إذا صبرت على مجاري الأقدار ورضيت بالقضاء في جميع الأحوال.

المقالة الثامنة والعشرون

قال رحمه الله :

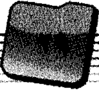
يؤمن العبد بالله ويُسلِّم الأمور كلها لله، ويعتقد تسهيل الرزق والعافية وصحة الأبدان كلها منه قضاءً وقدرًا قال ﷺ (ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك) [(١)] ، **قال تعالى :** ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .. الآية ﴾ [الطلاق ٣] .

فَمَنْ لَطفَ الله به كشف عنه ما به، فأدركه بالعافية ووفقه للشكر والحمد؛ فيديم له ذلك إلى اللقاء، ومن يُرِد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره حتى يسخط القدر ويتهم الحق ، فيقع بالمحذور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذا هو معنى الحديث الذي جاء عن رسول الله ﷺ : (أو فقرًا منسيًا) [(٢)] ، **نعوذ بالله من ذلك.**

---

(١) وهو جزء من حديث ابن عباس وسيأتي تخريجه.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٢٣٠٦)(٤/٥٥٢)، ورواه الحاكم في المستدرك (٧٩٠٦)(٤/٣٥٦) وقال: **صحيح على شرط الشيخين**. ورواه أبو يعلى في مسنده (٦٥٤٢)(١١/٤٢١)، والقضاعي في مسنده الشهاب (٨٢٣)(٢/٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٥٧)، وابن المبارك في الزهد ص (٣)، وغيرهم؛ من حديث أبي هريرة ﷺ - واللفظ للترمذي - قال: قال رسول الله ﷺ : (بادروا بالأعمال سبعًا؛ هل تنتظرون إلا فقرا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر. قال: **هذا حديث حسن غريب**).



وأما الذي أراد الله اصطفاءه واجتباءه، جعله من خواص أوليائه وأحبائه، ومعلمًا ومرشدًا إلى سنن الهدى، ومحذرًا سبيل أهل الردى والزيغ، وأعانه ربه بالصبر والرضا والغنى حتى حين اللقاء .

المقالة التاسعة والعشرون

قال رحمه الله :

وكثير من الخلق إذا نابه شُغلٌ ولم ييسر له مخرج منه؛ يقول: إي شي أعمل؟ وما الحيلة؟ فيقال له: قف مكانك، ولا تجاوز حدك، واعمل الأسباب على حسب ما تقتضيه حاجتك ومرادك، قال الكاظم لسفيان الثوري – رحمه الله –: يا سفيان! إذا صعب عليك أمر؛ فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذا تعسر عليك رزق فأَكْثِر من الاستغفار، حتى يأتيك الفرج ممن أحب منك ذكره والانتماء إليه في كل وقت وحين، وهذا هو الدواء الشافي، وسببه: الصبر، والمصابرة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر ١٠]، فإذا حفظت وصية الله بالصبر واتقيته أنجز لك ما وعدك في كتابه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا .. الآية ﴾ [الطلاق ٢]، وصرت في صبرك متوكلاً، وقد وعد الله المتوكلين ؛ قال ﷻ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .. الآية ﴾ [الطلاق ٣]، وكنت أيضًا في صبرك محسنًا ، ووعد الله المحسنين؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام ٨٤]، ويحبك الله؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة ١٩٥]، فالصبر كله خير وسلامة دنيًا وأخرى، ومنه يُرتقى إلى درجة الرضا والموافقة.

المقالة الثلاثون

قال رحمه الله :

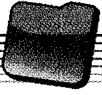
إذا وجدت في نفسك بُغضَ شخص أو حبَّه، فإن كان تقيًا أو مستور الحال ولا يظهر منه شر وأحببته لذلك، فأبشر بموافقتك لله ولرسوله ﷺ، وإن كنت تبغضه وهو على الحالة الزكية؛ فاعلم أنك صاحب هوى تبغضه لهواك ظالم له وعاص لله ولرسوله في كونك خالفت ما يحب الله ورسوله من محبة أهل الخير؛ قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا...الآية﴾ [الحشر ١٠]، فإذا كان الإنسان يحب لهواه ويبغض لهواه صار قلبه خرابًا، لأن المنافقين يلاقون غيرهم بلين وباطنهم بخلاف أفواهِهِم.

المقالة الحادية والثلاثون

قال رحمه الله :

وكثير من الخلق يقول: كل من أَحْبَبْتُهُ لا تدوم محبتي له! فيحال بيننا؛ إما بغَيْبَةٍ، أو موتٍ، أو لعداوةٍ، أو أنواع المال بالتلف وغيره، فيقال للمؤمن: نعم ألم تعلم أن الله غيور. خلقك له وتروم أن تكون لغيره، أما سمعت قوله ﷻ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة ٥٤]، وإبراهيم - على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام- أُمِرَ بذبح ابنه لذلك .

فإذا تَنَظَّفَ القلب من حب شهرة، أو رياسة، أو طلب ولاية، أو القرب والزلفى عند الناس، أو غير ذلك من المعوقات، فإذا عوفي مما ذكر وغيرها؛



صار كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع؛ لأنه انكسر بفضل الله فضربت حوله سرادقات الحفظ والهيبة، فحينئذ لا يخلص إلى القلب إرادة شي من الأشياء من الأحوال والأولاد والأصحاب والكرامات؛ لأن جميع ذلك يكون خارج القلب، ويكون كرامة لعبده والله المستعان.

المقالة الثانية والثلاثون

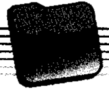
قال رحمه الله :

الناس أربعة أصناف:

صنف **لا لسان له ولا قلب** : وهو العاصي الذي لا خير فيه، ولا يفهم عن الله ولا عن رسوله ولا يطلب من يرشده إلى الطريق، فإن الله لا يعبأ به وأمثاله، إلا إِنْ منَّ الله عليهم برحمته، وأحبوا أهل الخير، ودخل قلوبهم شيء من الإيمان؛ فاحذر من مخالطتهم فإنهم أهل السخط وأهل النار؛ إلا أن تكون من أهل العلم والدعوة إلى الله، فإذا هدى الله بك أحدًا صرت من ورثة الرسل، قال ﷺ لعلي ﷺ : (لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمر النَّعَم) [1].

الصنف الثاني : لسان بلا قلب : فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، ويدعو الناس إلى الله وهو يفِرُّ منه، يَستقبِحُ عيب غيره ويذمّه وهو على مثله، يظهر للناس التنسُّك ويبارز الله بالعظائم، إذا خلا كأنه ذِئبٌ عليه ثياب، وهو الذي حذَّر منه الرسول ﷺ كما جاء في علماء السوء، فينبغي الحذر والهربُ

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٤٩٨)(٣/١٣٥٧)، (٢٨٤٧)(٣/١٠٩٦)، ومسلم (٢٤٠٦)(٤/١٨٧٢)؛ وغيرهما.



من هذا الصنف، لأنه يخطف بلذيذ كلامه، ويقتل بنتن باطنه وقلبه؛ كما جاء عن بعض العلماء : (احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل) [1].

الصنف الثالث : **قلب بلا لسان** : وهو رجل مؤمن قد ستر الله عليه، وبصرَّه بعيوب نفسه، ونوَّر قلبه، وعرَّفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام، وتيقن أن السلامة بالصمت؛ كما ورد في الخبر: (من صمت نجا) [2]، وقال بعضهم: العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وواحدة في العزلة. ومعناه: الصمت عن الذي يضرك في دينك أو دنياك أو لا فائدة فيه، والعزلة عن الذي لا تنتفع منه ولا ينتفع منك، لا يرشدك إلى دين ولا يعينك على دنيا . قال الشاعر:

إِذَا مَا صَحِبْتَ النَّاسَ فَاصْحَبْ خِيَارَهُمْ
وَلا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي
عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وسَلْ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

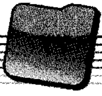
الصنف الرابع : **من له قلب ولسان**: وهو من تعلَّم العلم النافع لوجه الله الكريم وعلم غيره، يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات كما جاء: (ومن تعلَّمَ وعَمِلَ وعلَّم يدعى عظيمًا ... إلخ) [3]، وهو العالم بالله وآياته، استودع الله قلبه غرائب العلم، واصطفاه واجتباه وجذبه إليه، وهداه ورقَّاه، وشرح صدره لقبول

---

(١) هو كلام كان سفيان الثوري يذكره؛ كان يقول: (كانوا يتعوذون بالله من: شر فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون). انظر: تهذيب الكمال (١١/١٦٨)، والجرح والتعديل (١/٩٢)، والمدخل للسنن الكبرى للبيهقي ص (٣٣٥)، والعلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد (٣/١١٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٠١)(٤/٦٦٠)، والدارمي (٢٧١٣)(٢/٣٨٧)، والطبراني في الأوسط (١٩٣٣)(٢/٢٦٤)، وأحمد (٦٤٨١)(٢/١٥٩)، (٦٦٥٤)(٢/١٧٧) وغيرهم؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا، قال الحافظ في الفتح (١١/٣٠٩): (ورواته ثقات). ومثله قال المنذري في الترغيب والترهيب(٤٣٥٧)(٣/٣٤٣).

(٣) عزاه ابن حنبل في الزهد ص (٥٩) لنبي الله عيسى عليه السلام ، ومثله أبو خيثمة زهير بن حرب في كتاب العلم ص (٧)، وكذا ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٩٠)، وعزاه أيضًا ابن حنبل في الزهد ص (٣٢٦) لسفيان.



العلم النافع ونفع غيره، وجعله داعيًا للعباد ومنذرًا لهم، وحُجَّة فيهم هاديًا مهديًا، وهذه هي الغاية والمنتهى في بني آدم ولا منزلة فوقها إلا منزلة النبوة والرسالة، فعليك به واحذر أن تخالفه .

المقالة الثالثة والثلاثون

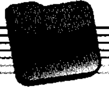
قال رحمه الله :

ما أعظم اعتراضك على ربك! وتسخطك لقضائه! ونسيانك ذكره! واستبطاؤك للرزق والغنى، وكشف الكربة والبلوى! أما تعلم أنَّ لكل أجل كتاب، ولكل بلية وكربة غاية ومنتهى ونفاد لا يتقدم ولا يتأخر: أَحَسِن الأدب، والْزَم الصمت والصبر والرضا، وتُبْ من تَسَخُّطِكَ .

والكريهة ما تستحيل إلى فرج في حال واحدة في غالب الأمور ، كما أن السنا لا يطلب بين العشائين حتى ينتهي ويطلع الفجر ثم يأتي النور، وكذلك الليل لا يطلب في الضحى حتى ينتهي ويجيء الغروب، قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد ٨] .

فإذا حَقَقْتَ ما ذُكِرَ فإن دعاءك وابتهالك وتضرعك عبادة وطاعة؛ كما قال ﷻ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر ٦٠] ، وقال: ﴿ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء ٣٢] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار.

أنت تدعوه وهو يستجيب لك عند حينه وأجله؛ إذا أراد، وكان في ذلك مصلحة دنياك وآخرتك، ولا تسأم من الدعاء، فإنك إن لم تربح لم تخسر، وإن لم يجبك عاجلاً أجابك آجلاً، فقد جاء ان النبي ﷺ قال : (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس



فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن ينصرف عنه من السوء مثلها ..)[1]، . ويكون أقل أحوالك أنك تكون ذاكرًا لله وموحدًا له، حيث إنك تسأله ولم تسأل غيره، ولم تنزل حوائجك بأحد سواه، فمِنَ الله النعمة ومنك الشكر والثناء، ومنه المزيد في العطاء، كما قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم ٧]، وقال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد ٧] فإذا نصرتَ الله في مخالفة هواك بترك الاعتراض عليه، والتسخط لفعله فيك، كنت خصمًا لله على نفسك، فيكون الله لك معينًا وناصرًا، وكان الله معك ومن كان الله معه، فمَعَهُ الفئة التي لا تُهزم كما ورد في الخبر[2] والله المستعان.

المقالة الرابعة والثلاثون

قال رحمه الله :

عليك بالورع، وإلا فالهلاك لازمٌ لك ولا يَنْفَكُّ عنك؛ وإنَّ من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، مثل الراتع حول الزرع يوشك أن يمد فاه، وقد قال ﷺ : (ألا وإن لكل ملك حِمى، ألا وإن حمى الله محارمه)[3].

وقال أبو بكر ﷺ: (كنا نترك سبعين بابًا من المباح مخافة أن نقع في الجناح[4]) .

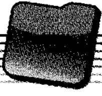
---

(١) رواه احمد في مسنده (١٠٧٠٩) (٢٢/٢٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه(٧/٢٤) ، والحاكم في مستدركه (١٧٧٠)(٤/٣٦٣) كلهم من حديث أبي سعيد . ورواه الترمذي في سننه (٣٣٠٣)(١١/٢٣٧) من حديث جابر ورواه غيرهم .

(٢) وهو من قول قتادة -رحمه الله- قال ابن كثير في البداية والنهاية (٩/٣١٤): (قال قتادة: من وثق بالله كان الله معه؛ ومن يكن الله معه تكن معه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل، والعالم الذي لا ينسى).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥٢)(١/٢٨)، ومسلم (١٥٩٩)(٣/١٢١٩) وغيرهما؛ من حديث النعمان بن بشير ﷺ .

(٤) قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢/٢٢): (وقال **بعض الصحابة:** كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام).



وقال عمر رضي الله عنه : (نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام [(1)]).

فمن وقف على الترخُّص ولم يصبر على العزيمة؛ انقطعت عنه موارد التوفيق، وغلب عليه الهوى وشهوة النفس وتناول الحرام، وخرج إلى زمرة الشياطين، وإن أدركه الموت قبل التوبة صار من الهالكين؛ إلا برحمة من الله.

المقالة الخامسة والثلاثون

قال رحمه الله :

اجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه، اصرف أوقاتك أولاً في تحصيل آخرتك، ثم إن بقي من وقتك شيء اصرفه لمصالح دنياك التي تستعين بها على الطاعة.

ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه، ثم إن فضل منها شيء جعلته لآخرتك، فتصير نائمًا في الليل وبطالاً في النهار، تابعًا لهوى نفسك وشيطانك، بائعًا آخرتك بدنياك؛ فيفوتك خير الدنيا والآخرة، فيأتي يوم القيامة وأنت أفلَسَهُم وأخسرَهُم.

وإذا قدَّمت أمر الآخرة ربحت الدنيا والآخرة بمعنى أن الإنسان إذا أقبل على طاعة الله - وهي قصده وهمته- جاءته الدنيا، وإذا طلب الدنيا أو طلب علمًا أو غيره ونيته الدنيا؛ لم تحصل له أعمال الآخرة، فيتحقَّقُ ما وَرَد أَنَّ: (الدنيا والآخرة ضرتان) [(2)]، قال تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ [آل عمران ١٥٢] ، ثم يكون بعد ذلك فريق في الجنة وفريق في النار .

---

(١) ذكره عبد الرزاق في مصنفه (١٥٢/٨)، ولفظه: (قال عمر: تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا)، وذكره الذهبي في الكبائر ص (١٢٠) بنفس لفظ المصنف.

(٢) قال صاحب الكشف الحثيث ص (١٠١): (ومن كلام عيسى عليه السلام : الدنيا والآخرة ضرتان فإذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى). وكذا قال العجلوني في كشف الخفاء (٤٩١/١)؛ ثم قال: (وفي معناه أيضًا: ما عند أحمد ومسلم وابن حبان والحاكم وصححاه عن أبي موسى: من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى. وروى أحمد وابن حبان والحاكم وصححاه والبيهقي وابن مردويه عن أبي بن كعب: بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصرة والتمكن في الأرض؛ ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب).

المقالة السادسة والثلاثون

قال رحمه الله :

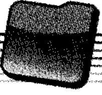
مالي أراك يا مؤمن حاسدًا لجارك في مطعمه، أو مشربه، أو ملبسه، أو زوجته، أو مَسكنه، أو تقلبه في غناه ونعم مولاه، وقسمه الذي قسم له، أما تعلم أن هذا يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك، أما سمعت ما جاء عن رسول الله ﷺ ؛ انه قال: (إنَّ الحسد يأكل الحسنات؛ كما تأكل النار الحطب) [1]**، ثم على أي شيء تحسد يا مسكين! على قسم الله، أو قسمك؟ فإن حسدته على قسم الله فإن الله يقول:** ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزخرف ٣٢] **، فقد ظلمته، وإن حسدته على قسمك فقد جهلت غاية الجهل، فقِسْمكَ لا يُعطى غيرك، ولا ينتقل منك إليه، - تبارك الله وتقدّس - ، قال تعالى:** ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق ٢٩]**، إن الله لا يظلمك فيأخذ ما قسمه لك فيعطيه غيرك، فهذا جهل منك وظلم، ثم لو تعلم يا مسكين ما يلقى صاحب النعمة والمال والجاه إذا كان عاصيًا لله يوم القيامة؛ عرفتَ أن الله قد عافاك وابتلاه؛ كما ورد في الحديث:** (يَوَدُّ أهل العافية يوم القيامة؛ حين يعطى أهل البلاء الثواب: لو أن جُلُودَهم كانت قُرِضتْ في الدنيا بالمَقَارِيض) [2].

جعلنا الله وإياكم ممن صبر على البلاء، وشكر على النعماء، وسلَّم وفوَّض لأمر الله ﷻ .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣)(٢٧٦/٤)، وعبد بن حميد في مسنده (١٤٣٠) ص (٤١٨) وغيرهم؛ من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٢)(٦٠٣/٤) وقال: (حديث غريب)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٨٢٩)(١٨٢/١٢) من حديث ابن عباس، قال عنه الهيثمي في المجمع (رواه الطبراني في الكبير وفيه مجاعة بن الزبير وثقه أحمد وضعفه الدارقطني). وقال المناوي في فيض القدير: (٣٩٩/٥): (إسناده حسن).



المقالة السابعة والثلاثون

قال رحمه الله :

من عامل الله بالصدق والنصح في عمله استوحش مما سواه في المساء والصباح.

يا قومي! لا تدَّعو ما ليس لكم، ووحِّدوا ولا تشركوا؛ لأن الإنسان قد يدَّعي العلم وليس له أهل، أو يدَّعي أيَّ خُلُق.

المقالة الثامنة والثلاثون

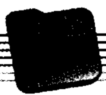
قال رحمه الله :

الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق، والأخذ مع عدم الهوى وفاق وسداد؛ يعني: إذا طلب علمًا أو مالاً لكن لهوى نفسه، لا لكونه يريد وجه الله في علمه وعمله، ولا المال لأجل ستر حاله، بل رياءً وفخرًا، فقد يَبِينُ أمره لكل أحد والله أعلم.

المقالة التاسعة والثلاثون

قال رحمه الله :

لا تطمع أن تصل إلى درجة الصديقين؛ حتى تعادي طبائع النفس في الهوى، والرعونة، وإطلاق البصر، والسمع، والبطش، والمشي؛ كما في حديث



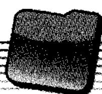
الأولياء: (وكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ...الحديث) [1].

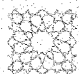
قال العلماء: معناه: أنه يبصر المخلوقات ويتفكر في صنع الله، ويسمع القرآن والحديث والخير لله، ويُسَلِّم، ويتصدَّق، ويعين أحدًا في يده لله، ويمشي للعبادات ونفع المسلمين لله، ويكون له نيَّةٌ في جميع حركاته وسكناته.

وحركات الجوارح إذا كانت لهوى النفس؛ كانت حجابًا على حسب قوتها وضعفها، فإذا خالف هواه وعصى شيطانه؛ فحينئذ تَرِد عليه الكرامات التي تكون للمؤمنين الخُلَّص، فيكون في هذه الحال كأنه أُحْيِيَ بعد الموت، قال تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام ١٢٢]، وكل أحدٍ ميتٌ بإتباعه هواه، فإذا ترك هواه كأنه حي، فإن عجزت عن هذا المقام، فارجع إلى قرع الباب والْزَمْهُ؛ لعله يجيب دعاك، ودع عنك الهوى وكل طريقة لا يشهد لها الشرع، فإن خروج البدع والهوى من القلب شديد جدًا أشدّ من دخوله.

---

(١) سبق تخريجه، وقد قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "من المعلوم أن الحديث ليس على ظاهره، لأن سمع المخلوق حادث ومخلوق وبائن عن الله عز وجل، فما معناه إذن؟ قيل معناه أن الإنسان إذا كان وليًا لله عز وجل وتذكّر ولاية الله حفظ الله سمعه فيكون تابعًا لما يرضي الله عز وجل، وكذلك يقال في بصره وفي يده وفي رجله، وقيل المعنى أن الله يسدّده في سمعه وبصره ويده ورجله ويكون المعنى: أن الله يوفق هذا الإنسان فيما يسمع ويبصر ويمشي ويبطش، وهذا أقرب، أن المراد تسديد الله تعالى العبد في هذه الجوارح " شرح الأربعين النووية ص (٤٠٨) شرح العلامة ابن عثيمين.



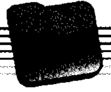


المقالة الأربعون

قال رحمه الله :

ونضرب مثلاً في الفناء ؛ فنقول: ألا ترى المَلِكَ إذا ولّى رجلاً من آحاد رعيته ولاية على بلد من البلاد، وخلَعَ عليه، وعقد له الولايات والجند، فيكون على هذه الحال مدة من الزمان، حتى إذا اطمأن إلى ذلك، واعتقد بقاءه وثباته وأعجب به، نسِيَ حاله قبل ذلك من الفقر والضيق وسقوط الجاه، ثم دخله الكبرياء.

ثم إن الملك نقم عليه، وطالبه بجرائم صنعها، وتعدَّ أمره ونهيه فيها، ثم حبسه في أضيق مكان وطال حبسه، ودام ذله وفقره، وذابت نخوته وكبرياؤه، وخمدت ثائرة هواه، ثم بعد ذلك عطف عليه الملك وأخرجه من الحبس، وردَّ الولاية إليه ومثلها معها؛ فكذلك المؤمن إذا قربه ربه تعالى واجتباه وفتح عين قلبه، ووالى عليه مِنَنَه وإنعامه، وفتح على قلبه من الأسرار ما لا يراه غيره من المحجوبين، فإن حصل معه طغى ، أو أنه رأى في نفسه انه خيرٌ من الناس، أو غير ذلك من القواطع من الأفعال أو الأقوال ، فإذا نزع عنه ما هو فيه من نعيم القرب والأنس يبقى حسيرًا متحيرًا مقطوعًا، فإذا سأل الله كشف ما به من الضر، وذهبت عنه الأخلاق الرذيلة، وتواضع وانكسر؛ أمطر الله عليه بحار رحمته ورأفتِهِ، ولطفهِ، ومِنَنِه، وتولى تربيته ودام على هذا إلى اللقاء، والله المستعان.



المقالة الحادية والأربعون

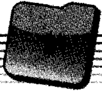
قال رحمه الله :

والنفس لها حالتان : حالة عافية، وحالة بلاء.

فإذا كانت في بلاء حصل لها جَزَع وشكوى وتَسَخُّط وإعراض وتهمة، ولا يكون فيها صبر ولا رضا ولا موافقة، بل يكون فيها سوء أدب، وشرك بالخلق والأسباب، ويكون فيها مع بلائها وفقرها : أشَرٌ وبَطَرٌ واتِّبَاع شهوات محرمة، كلما نالت نفسه شهوة طلبت أخرى حتى تقع في أعظم الدواهي، إلا من رحمه الله وتولاه.

الحالة الثانية : إذا كانت النفس في عافية وغنى؛ حصل لها طغى، واستحقرت ما عندها من النعم، وتطلب أعلى منها، مثل الذي عنده واديان يبغي لها ثالث، مثل إذا كان في محل - إما رياسة أو غيرها - يبتغي أعلى منها، ثم يكون سبب غروره هلاكه ولا بدّ، وهذا قد وجِدَ في الخلق إلا من عصمه الله، ويقع الإنسان الذي هذه حالته في تعب طويل، فيرتكب الغمرات، ويخوض المهالك التي لا غاية لها ولا منتهى، كلما دخل في رياسة أو غيرها وجد عندها خلقًا يَحُفُّون بها، ويريدونها، فيقع في المِحَن والمصائب .

فلو أحسنت الأدب إذا انكشف عنك همٌّ أو بلاء : فلازمت الطاعة والشكر والخضوع والخوف من زوال ما أنت فيه؛ لكان خيرًا عظيمًا دُنيا وأخرى، وتجد زيادة في النعم والعافية، وهذا إنما يحصل بالصبر والرضا وترك الشكوى إلى الخلق، وإنزال حوائجك بالله الكريم المتفضل المنان، وانتظار الفرج، قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس ٨٢] ، كل أفعاله حسنة وحِكَمْ ومصلحة، غير أنه طَوَى علم المصالح عن الخلق، واللائق بالعبد الرضا والتسليم، والانشغال بالعبودية من أداء الأوامر وترك النواهي .



ويستند في هذه الجملة إلى حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما- قال: (كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا؛ فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [1] ، **وفي رواية :** (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا) [2]، **فينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه، والله أعلم.**

المقالة الثانية والأربعون

قال رحمه الله :

من سأل الناس من أموالهم ، ما سألَ إلا لجهله، وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه، وقلة صبره، وما تعفف احدٌ عن ذلك إلا لوفرة علمه، وعقله ، ومعرفته بربه ﷻ .

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٥١٦)(٦٦٧/٤) وقال: (حسن صحيح). والطبراني في الأوسط (٥٤١٧)(٣١٦/٥)، والطبراني في الكبير (١١٥٦٠)(٢٢٣/١١)، (١٢٩٨٨)(٢٣٨/١٢)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)(٤٣٠/٤)، وأحمد في المسند (٢٦٦٩)(٢٩٣/١)، (٢٧٦٣)(٢٠٣/١)، قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(١٨٥): (**وأصح الطرق كلها:** طريق حنش الصنعاني **التي خرجها الترمذي**؛ كذا قال ابن منده وغيره).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٦٣٠٤)(٦٢٤/٣)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)(١٢٣/١١)، وأحمد في المسند (٢٨٠٤)(٣٠٧/١)، وعبد بن حميد في المسند (٦٣٦) ص(٢١٤).

المقالة الثالثة والأربعون

قال رحمه الله :

قد يسأل المؤمن ربه وقد لا يرى أثر الإجابة في بعض الأحوال والأزمنة، وهذا لحكمة؛ لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك؛ لأن الخوف والرجاء : (مثل جناحي الطائر إذا غلب أحدهما الآخر هلك).

والعارف مقرب، وحالته ومقامه أن لا يريد شيئًا سوى الله، ولا يركن ويطمئن إلى غيره، ولا يأنس بغيره إلا ما يعينه على طريقه في السير إلى الله .

المقالة الرابعة والأربعون

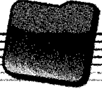
قال رحمه الله :

اعلم أن الناس رجلان: مبتلى، ومنعم عليه.

فالمنعم عليه لا يخلو عن النغصة والتكدر فيما أنعم عليه، من ذلك إذا جاء القدر بما يكره من أنواع الرزايا والبلايا من مرض أو أي شيء في النفس والمال وغير ذلك ؛ فينغص ويغتم لذلك كأن لم ينعم عليه قط، ينسى ذلك النعيم وحلاوته، وإن كان الغنى قائمًا بالمال والجاه، فهو في حال النعيم كأن لا بلاء، وفي حال البلاء كأن لا نعيم، وكل ذلك من جهله بمولاه، وإن علم أن مولاه فعّال لما يريد، يغيّر ويبدّل، ويحلّي ويمرّ، ويغني ويفقر، ويرفع ويخفض، ويعزّ ويذلّ، ويحي ويميت.

والشكر هو قيد النعم عن الرحلة، كما قيل: إن النعمة وحش فقيِّدها بالشكر.

وأما المبتلى فتارة يُبتلى عقوبة مقابلة بجرمةٍ ارتكبها، وتارة يُبتلى تكفيرًا وتمحيصًا، وتارة يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العليّات؛ ليلحق بأهل



العلم من أهل الصلاح والمقامات، ممن سبق لهم من الله غاية، وسيّرهم مولاهم في ميادين النعيم على مطايا الرفق والألطاف، ورَوَّحَهم بنسيم النظرات، ولم يكن ابتلاهم للهلاك، لكن اختبرهم بها للاصطفاء والاجتباء، واستخرج بها حقيقة إيمانهم وصفّاها من الدعاوي والنفاق، فلما خلصوا في الظاهر والباطن جعلهم من الخُلّص والخواص وجلساء الرحمن.

وعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات، عدم الصبر والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات والله المستعان.

وعلامة إذا كان يُبتلى تمحيصًا وتكفيرًا: وجود الصبر الجميل من غير شكوى لأحد، أو تضجر.

وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات: وجود الرضا والطمأنينة.

المقالة الخامسة والأربعون

قال رحمه الله :

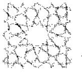
قال رحمه الله – في قوله ﷺ عن ربه ﷻ: (من شَغَلَهُ ذكري عن مسألتي: أعطيته أفضل ما أعطي السائلين) [1]، وذلك أن المؤمن إذا أراد الله اصطفاه

---

(١) رواه البزار في مسنده (١٣٧)(١/٢٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٢)(١/٤١٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١١٥) من حديث عمر ﷺ. والقضاعي في مسند الشهاب (٥٨٤)(١/٣٤٠) عن جابر، وأبو نعيم في الحلية (٧/٣١٣)، والديلمي في الفردوس (٣/١٦٨) عن حذيفة، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٢٧١)(٦/٣٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٣١٩٩)(٢/٢٣٨) عن مالك بن الحارث قال: (يقول الله: من شغله..)، قال الحافظ في الفتح (١١/١٣٤): (أخرجه الطبراني بسند لين). وقد حكم ابن حبان في المجروحين (١/٣٧٦) بوضع هذا الحديث؛ وكذا ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٣٤٨)؛ وتعقبهما السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/٢٨٨) ناقلاً كلام الحافظ ابن حجر في حسن الحديث ورفع سمة الوضع عنه، وقد قال بصحته ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٥/١٢٣).

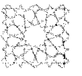


واجتباءه سلك به طريق الصادقين، وقدم ما يرضي ربه على عيش النفس، وفنا في طاعة مولاه عن الاهتمام بغيره، فإن عادة الله ﷻ أن يُيَسِّر له ما يحتاج إليه مما يغنيه، ويعينه على العمل لله الذي شغله عن المسألة ، والله أعلم.

 المقالة السادسة والأربعون

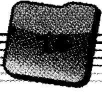
قال رحمه الله :

رأيت في المنام رجلاً؛ وسألني: أي شيء يتقرب به العباد إلى الله عزَّ شأنه ؟ فقلت : هذا له ابتداء وانتهاء ؛ فالابتداء الورع ، والنهاية الرضا والتسليم والتوكل .

 المقالة السابعة والأربعون

قال رحمه الله :

ينبغي للمؤمن أن يشتغل بالفرائض، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن، فإذا فرغ منها اشتغل بالنوافل والفضائل، فإن الذي يشتغل بالسنن قبل الفرائض أحمق، ولا يُقبل منه لأنه ترك أعظم شي يحبه الله ألا وهو فعل الفرائض.



المقالة الثامنة والأربعون

قال رحمه الله :

من اختار النوم على السهر؛ فقد اختار الأنقص على الكامل، ولحق بالموتى؛ لأن النوم أخو الموت، وينقطع عن المصالح ما دام نائمًا، ولذلك ينفى عن الله النوم ﷻ، فالخير كل الخير في اليقظة، والسوء كل السوء في النوم والغفلة، والمراد بالنوم الزائد عن الحاجة، كما جاء أن مفسدات القلب أربعة: فضول النوم، وفضول الأكل، وفضول الكلام، وفضول الخلطة. والفضول: هو الزائد عن الحاجة، وهذا ما يعرفه إلا أهل المجاهدة من أهل الهمم، يقول الشاعر:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي

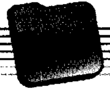
ومن رام العلا من غير كدٍ ... أضاع العمر في طلب المحال

تروم العزّ ثم تنام ليلاً ... يغوصُ البحرَ من طلبَ اللآلي

المقالة التاسعة والأربعون

قال رحمه الله :

لا يخلو أمرك من قسمين: إما أن تكون غائبًا عن القرب من ربك ﷻ، أو قريبًا منه واصلا إليه، فإن كنت غائبًا عنه: فما قعودك وتوانيك إلا عن الحظ الوافر، والنعيم والعِزِّ الدائم والكفاية والدلال، فقم وأسرع في الطيران إليه بجناحين أحدهما: ترك الشهوات المحرمة، وترك الانهماك في الشهوات المباحة.



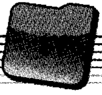
والجناح الآخر: احتمال الأذى والمكاره، وركوب الأشدّ، والخروج من الهوى والتمني، حتى تظفر بالوصول والقرب، فأحسن الأدب ولا تكتف بما أنت فيه؛ فَتُقَصِّرَ في الخدمة والمجاهدة، ولا تخلد إلى الرعونة والكسل الذين هما عادة النفس الباطولية من الجهل والظلم والعجلة ، وقيل : إن العوائد طبائع ثواني ، قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب ٧٢]، ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء ١١].

المقالة الخمسون

قال رحمه الله :

الزاهد يُثاب بسبب زهده في أشياء؛ منها: كونه ترك شيئًا - وهو يحبه- طلبًا لما عند ربه من الثواب للصابرين والأولياء.

ومنها: أنه لا يَأْخُذُ بهواه وموافقة نفسه، ولكن بنيّة خالصة على وفق الأمر، فإذا تحقق فيه هذا عُدَّ من المحققين وأهل الولاية، ودخل في زمرة الصالحين العارفين المقبولين الذين فَنَوا عن الخلق، والأنفس، والهوى ، والحظوظ ، والأماني، والأعواض على الأعمال الصالحة بطلب الدنيا، أو جاه عند الكبراء، ويرون هذه العطية وتيسيرها عليهم نعمة من الله، وعطية سَنِية حيث وفقهم دون غيرهم.



المقالة الحادية والخمسون

قال رحمه الله :

إنما يبتلي الله طائفة من أهل الإيمان الأخيار من أهل الولاية والمعرفة؛ ليردَّهم بالبلاء إلى السؤال، فيجيب سؤالهم، وقد لا يحصل وجود المدعو به بسرعة، مع أن الدعاء مستجاب، فليتأدب العبد عند نزول ما يكره، وليفتش عن ذنبه في ترك أمرٍ، وارتكاب نهيٍ، أو منازعة في القدر، والغالب إنما يبتلى المرء بذلك، فإن انكشف البلاء، وإلا فليرجع إلى التضرع والدعاء والاعتذار، ويديم ذلك حتى يأتي النصر، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة ٢١٤].

المقالة الثانية والخمسون

قال رحمه الله :

اطلبو من الله الرضى؛ فإنه بابه الأعظم، والجنة العاجلة، ويحبه الله لعبده المؤمن، قال ﷻ : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة ١٥٢]، وقال : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة ٥٤] ، فمن أحبه الله لم يعذبه في الدنيا ولا في الآخرة، فحصل له الأنس به، والاشتغال بطلب ما يرضيه، ولا يطلب بعلمه وعمله عوض؛ لأن طالب حَظّ نفسه ليس بصادق ولا مخلص، إنما المخلص من عَبدَ الله ليُعطي الربوبية حقها؛ لأن الله ﷻ خالقه ومالكه، ويستحق عليه العمل والطاعة له، وقد بيَّنا في غير موضع أن العبادات بأسرها مِنَّة من الله ونعمة وفقه لها وأقدره عليها، فاشتغاله بالشكر له خير من طلب العوض عليها، والله أعلم.

المقالة الثالثة والخمسون

قال رحمه الله :

من أراد الآخرة فعليه بالإخلاص والزهد في الدنيا ، ومن أراد الله زهد في كل ما يشغله عنه؛ فما دام في قلبه شهوة من الشهوات، أو طلب راحة في الدنيا ، أو منصب فليس بزاهد؛ لأن هذا من حظوظ النفس وعيشها ، إلا إذا كان قصده التعاون بها على السير إلى آخرته؛ لأن المال يصل به رَحِمَه، والجاه يشفع في الذي ليس له جاه، والعلم تُعَلِّم به الجاهل، والقوة يعين بها الضعيف والأخرق، كما كان المال عند عثمان وعبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنهما- ، والجاه في عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ، كما أن الوزير ابن المظفّر فقيه وصار وزيرًا؛ لأجل نصر الحنابلة في زمانه وغيرهم كثير.

المقالة الرابعة والخمسون

قال رحمه الله :

قد يكون العبد في بعض عمره متخبطًا في تصرفه، متعثرًا في طريقه، متَّبِعًا لطبعه، غير متعبد لربه، فبينما هو على هذه الحال، ثم ينظر الله إليه نَظرَ لطفٍ ورحمةٍ، فيبعث إليه واعظًا من خلقه، أو واعظًا من قلبه، فتعمل الموعظة فيه عملها، فيتبين له عيب ما كان فيه من ركوب مطية الطبع والمخالفة، فيصير مسلمًا تقيًا قائمًا مع الشرع بعيدًا عن الطبع، فيترك حرام الدنيا وشبهاتها إلى أن ينتهي إلى عتبة الولاية والدخول في زمرة الصالحين وخواص أهل المعرفة، ويخلع عليه أنوار المعارف والعلوم، فلا يسمى صالحًا

حتى يصل إلى هذا المقام، كما قال ﷻ : ﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف١٩٦] .

المقالة الخامسة والخمسون

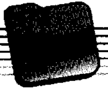
قال رحمه الله :

إذا فني العبد عن الخلق والهوى والنفس وأماني الدنيا، ولم يرد إلا الله بعمله وبصره وسمعه وبطشه ومشيه، وصل إلى رضى الله، واصطفاه واجتباه وأحبّه وحَبَّبَه إلى خلقه وصار محبوبًا، ومعنى الفناء: هو عدم الفكر في الخلق، وعدم العمل لهم، وحب مدحهم، وعدم الخوف منهم والرجاء، ولا يجري على خاطره إلا ما يقربه إلى الله؛ كما أن الصادقين إذا قاموا إلى الصلاة صاروا كذلك، فإذا وصل العبد إلى هذا صار يتقلب بنعمة مولاه، وفتح عليه أبواب رحمته، ووعده أن لا يغلقها عنه أبدًا، قال تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود ١٠٨].

المقالة السادسة والخمسون

قال رحمه الله :

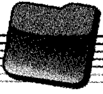
لا تخلو حالات الخلق إما نعمة أو بليّة، فإذا كانت بَليَّة فيطلب من الإنسان: التَّصبُّر وهو الأدنى، ثم الصبر وهو أعلى منه، ثم الرضى والموافقة، وهو درجة الصادقين والعارفين أهل العلم بالله ﷻ والله المستعان.



وإن كانت نعمة فيطلب من كل أحد من المسلمين الشكر عليها، والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، أما اللسان فهو الاعتراف بالنعمة، وأنها من الله وترك إضافتها إلى الخلق، وأن الله هو الذي مجريها، وموجدها، والمسبب لها، والمانُّ بها، والقاسم لها، والمجري لها، والموجه لها؛ الذي يستحق أن يُشكر ولا يكفر، وأن يُذكر ولا ينسى.

وأكثر الخلق يجعل طاعة الله فرعًا ولا يجعله أصلاً يُتَّبَع، فإنَّ من كان كذلك صار جبَّارًا ظالمًا حاكمًا بغير ما أنزل الله الذي وضعه لعباده؛ قال ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة ٤٤]، ثم ﴿ أُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة ٤٥]، ثم ﴿ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة ٤٧]، فيكون انتهاؤه إلى نار وقودها الناس والحجارة، وأنت لا تصبر على الشمس في الدنيا ولا على أقل شظية أو شرارة؛ فكيف صبرك على الخلود في الهاوية مع أهلها، وأما حق البلية فهو الصبر، ولا تشكو لأحد، ولا تظهر الضجر، ولا تتهم ربك في باطنك، ولا تشك في حكمته، ولا تشتغل بالخلق لا في الظاهر ولا في الباطن، فإنهم لا يغنوا عنك من الله شيئًا.

فالزم الصبر والرضا حتى يبلغ الكتاب أجله، فعندها تزول البليَّة وتتكشف الكربة؛ كما في قصة نبي الله أيوب ﵇، وكما يذهب ظلام الليل ويأتي ضوء النهار، ويذهب برد الشتاء ويأتي نسيم الصيف وطيبه؛ لأن لكل شيء ضدٌّ وخلافٌ وغايةٌ ومنتهى وأمد، فالصبر مفتاح وابتداء ومنتهى، وقيل: إنّ الدين صبرٌ وشكرٌ. والصبر عِدَّة لما يأتي الإنسان، والشكر على الذي خوَّلك الله واختصك به من النعم، وكذلك لعموم المسلمين، والخاصة ما خصَّك من النعم الظاهرة والباطنة، التي قد حرمها غيرك وأسداها عليك من غير استحقاق.

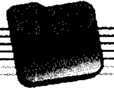


المقالة السابعة والخمسون

قال رحمه الله :

البداية هي الخروج من العادة والطبع إلى المشروع؛ فتخرج عما كنت عليه فتتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر ٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران ٣١]، وتترك عادة النفس ورعونتها، فلا يكون في باطنك غير الإخلاص لله في جميع القربات، ويكون لك نيَّة في المباحات فتنقلب فتصير عبادات؛ وكما قيل : (أن النيَّة تجعل العبادة عادة؛ والعادة عبادة) ؛ إذا أراد بها إظهار الشكر والتقوي على العبادة، ونفع الغير، وإغضاب العدو، وأن يقتدي به غيره فيفعل مثل فعله، إلى غير ذلك من المقاصد الجميلة.

ويكون هذا هو دأبك وشعارك ودثارك في حركاتك أو سكونك، في ليلك ونهارك وفي سفرك وحضرك وشدتك ورخائك وأحوالك كلها، فإذا أخلص العبد هذا لله، صرف عنه كل سوء؛ كما قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف ٢٤]، فيستصحب العبد الحفظ والحمية إلى حين اللقاء، فإذا بلغ العبد هذا ذهب عنه ظلمة الطبع، فإن الطبع ظلمة لا تزول إلا بالمجاهدة والحمية. والحمية: حبس النفس عن رذائل الأخلاق وحقيرها، وتهذيب النفس وتعلّم الأدب.



المقالة الثامنة والخمسون

قال رحمه الله :

كل مؤمن مُكلَّفٌ بالتوقُّف والتفتيش في حياته كلها حتى يشهد الحكم بأنه مباح؛ كما قيل : المؤمن فتَّاش، والمنافق لقَّاف. يعني : المؤمن يفتش هل هذا حرام وليس فيه شبهة؟ وأما المنافق بخلاف ذلك، قال ﷺ : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) [1]، فالمؤمن يفتش في طعامه وشرابه ولباسه وسكنه وبيعه وشرائه وسائر الأشياء، فحينئذٍ يكون المؤمن الذي هذه طريقته محفوظًا من الآفات وعن خرق حدود الشرع، مصانًا مصروفًا عنه السوء؛ كما في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف ٢٤].

المقالة التاسعة والخمسون

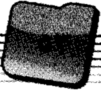
قال رحمه الله :

ما أكثر ما يقول الإنسان: قُرِّب فلانٌ، وأُعطي فلان وحرمت! وفلان غني وأنا فقير! وعُوفي فلان وأنا سقيم! وعَظُم فلانٌ وحقرت! وحُمِد فلانٌ وذممت! وصُدِّق فلانٌ وكُذِّبت!

أما علمت أن الواحد ﷻ يحب من وحَّدَهُ في وحدانيته، ويحب من وحده في

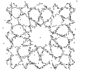
---

(١) تقدم تخريجه .



محبته، والله ﷻ غيور، فهو يكفُّ الناس عن الإحسان إليك من كل وجه؛ حتى توحّده في المحبة، وتصير عبدًا له في كل وجه، بظاهرك وباطنك في حركاتك وسكناتك، فلا ترى خيرًا إلا منه، وتغفل عن الخلق وعن النفس وعن الهوى وعن الإرادة والمنى وعن جميع ما سوى المولى ، ثم الله ﷻ يطلق أيدي الخلق إليك بالبسط والدعاء والثناء الحسن، ولا يكون القصد من العبادة هذا فتنقطع ويكون عيش النفس، ولكن المقصود رضى الله ﷻ حصل شيء أو لم يحصل ؛ قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام ٥٢] ، والإرادة النية والقصد ، فلا تنسَ الأدب، انظر إلى من ينظر إليك، وأقبل على من أقبل عليك ويدعوك ويعطيك ويخرجك من ظلمات الجهل وينجيك من هلكتك.

إلى متى العادة؟ إلى متى النظر إلى الخلق؟ إلى متى الهوى؟ إلى متى الرعونة؟ إلى متى الدنيا؟ إلى متى سوى المولى الحميد تذهب؟ والله ولي الذي آمنوا ، ومن تولَّ الله تولاه.



المقالة الستون

قال رحمه الله :

ضاق بي الأمر يومًا فتحركت النفس تطلب الراحة والمخرج والفرج، فقيل لي - بلسان الحال - : ما تطلب ؟

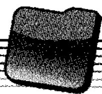
فقلت : أطلب موتًا لا حياة معه ؛ وهو: الغنى عن الخلق وعن الهوى، وأطلب حياة لا موت فيها؛ وهي: رضى الله وجواره في دار النعيم، فهذه أعظم فائدة استفدتها منذ عقلت .

المقالة الحادية والستون

قال رحمه الله :

يقال لبعض الخلق: ما هذا التسخط على القدر! تقول: كره ربي لي سؤال الخلق، وأحب مني سؤاله وحده، وفي بعض الأحوال أدعو ولا أرى أثرًا للإجابة !؟ فيقال له: هل أنت حُرٌّ تُدبِّر ؟ أو عبد ضعيف مُتَصَرَّفٌ فيك؟ فإن قلت: أنا حُرٌّ! فهذا كفر، وإن قلت: أنا عبد مُدَبَّر! فيقال: العبد الصادق ما يتهم ربه في تأخير الإجابة، بل يصبر ويشكر؛ لأنه لا يعلم الخيرة والأصلح، والله حكيم؛ يعطي لحكمة ويمنع لحكمة، ومن صفاته: المعطي المانع، القابض الباسط، الضار النافع، فعليك بدوام الدعاء وصدق الالتجاء، وحسن الظن بربك، وانتظار الفرج منه، والحياء منه، والمسارعة إلى أداء أوامره، والتقاعد عن نواهيه.

وإن كان لا بد أن تتهم أو تسيء الظن، فنفسك الأمارة بالسوء، العاصية لربها ﷻ أولى بأن تُتَّهَم؛ لأنها ظالمةٌ، فاحذر موافقتها وموالاتها والرضى بما توسوس به، واقرأ عليها قوله ﷻ : ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾ [النساء١٤٧] ، وقوله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران١٨٢] ، وقوله تبارك وتعالى وتقدس : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس ٤٤]، وغيرها من الآيات والأحاديث.



المقالة الثانية والستون

قال رحمه الله :

لا تقل: لا أدعو الله، إن كان مُقَدَّرًا جاء بلا دعاء، وإن لم يكن مقسومًا لم يأتِ !

هذا نقص وخروج عن طريقة المصطفين من الأنبياء والرسل والصالحين الذين يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، والله أمر بالسؤال؛ وقال: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر٦٠] ، وقال ﷻ : ﴿ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء ٣٢]، فإذا سألت ربك وهو مقسوم وأعطاك إياه؛ زاد إيمانك ويقينك وحبك لله .

المقالة الثالثة والستون

قال رحمه الله :

كلما جاهدت نفسك وغَلَبْتَها ومَنعتَها بسيف المخالفة، أحياها الله حياة طيبة قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت ٦٩] ، أراد به مجاهدة النفس ودوام ذلك إلى الموت؛ كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر ٩٩] ، يعني: الموت. والمجاهدة عبادة؛ لأن العبادة تأباها النفس، وتريد ضدها، فإن قيل: كيف يأمر نبيه ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى، ومقيم على طاعة ربه؟

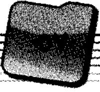
فيقال: إنه خاطب نبيه بهذا الخطاب؛ ليقرر به الشرع، ويكون عامًا

لجميع أمته إلى يوم القيامة، والله أعلم.

والله ﷻ أعطى نبيه القوة على العمل فلا تثقله المجاهدة، بخلاف أمته، فإذا داوم المؤمن على مجاهدة نفسه وهواه بسيف مسلول؛ أعطاه الله ما وعده من النعيم المقيم في الجنة؛ كما قال ﷻ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات ٤١] ، فتصير الجنة هي داره ومقره ومصيره ومأواه، فلا عنها يتحول ولا يزول، ويتجدد له كل يوم وكل ساعة من أنواع النعيم، وتغير له أنوع الحلل والحلي إلى ما لا نهاية له ولا غاية، كما جدد هو في الدنيا في كل يوم وكل وقت وكل ساعة من مجاهدة نفسه وهواه في ذات الله، وهذا هو الذي يُنافس فيه، قال ﷻ: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين ٢٦] .

وأما الكافر والمنافق وأهل الفسوق والمجون لما تركوا المجاهدة لأنفسهم وهواهم في الدنيا، وتابعوا الشيطان وأعوانه من فساق الإنس والجن - والعياذ بالله من سبيلهم- أدخلهم الله النار التي أعدت للكافرين، وجعلها مقرَّهم ومصيرهم - نعوذ بالله من عذابه وسخطه .

قال ﷻ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء ٥٦] ، وأهل النار يجدد لهم كل وقت جلودًا ولحومًا، وأهل الجنة يجدد لهم كل وقت نعيمًا بسبب مجاهدتهم أنفسهم في دار الدنيا.



المقالة الرابعة والستون

قال رحمه الله :

والعبد إذا دعا ربه وأجاب دعاءه حصل له العبادة ؛ لأن الدعاء عبادة ، ولو لم يجب في بعض الأحوال ، وهو مع ذلك قد قُدِّر في الأزل ؛ كما قال ﷻ : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن ٢٩]، فيعطيه ما سأل في الوقت المقدر حصوله، والملك لله جميعًا من العرش إلى الثرى وما تحت الثرى، قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر ٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران ٢٦].

المقالة الخامسة والستون

قال رحمه الله :

أعظم ما تطلب من ربك وترجو حصوله؛ هو: طلب المغفرة للذنوب السالفة، والعصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة، والتوفيق لحسن الطاعة، وامتثال الأمر والبعد عن النواهي، والرضى بمُرِّ القضاء، والصبر على شدائد البلاء، والشكر على جزيل المنن والعطاء، ثم الموت على هذا الخير، واللحوق بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، واسأله الحفظ الدائم على ما أقامك عليه من خير وصدق فهو سبيل الصالحين العارفين بالله ﷻ .

المقالة السادسة والستون

قال رحمه الله :

كيف يحسن بك العجب في أعمالك، ورؤية نفسك فيها، وطلب العوض عليها ، وهو كله بتوفيق الله وتقديره، فالواجب عليك دوام الشكر من قلبك وجوارحك على ما أنت فيه من النعم والتي قد حُرم منها غيرك وأن تجعل اللوم والظلم وسوء الأدب من نفسك، فهي أحق باللوم، والله المستعان.

المقالة السابعة والستون

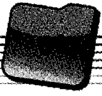
قال رحمه الله :

أهل الولاية والعبادة إذا كان أحدهم على طريق أهل الخير والعلم النافع كان مريدًا، فإذا انتهى إلى غاية محمودة صار مرادًا، والمريد في أول بدايته يتحمل الأثقال والمشاق من المجاهدة، وطلب الأدب، وإبعاد النفس عن مألوفاتها وأهويتها التي ملكت عنانها، فإذا بلغ درجة المراد طاح عنه الثقل، وصار يعمل الخير، ولا يجد له تعب ولا مشقة حين ذاق حلاوة العبادة؛ والإقبال على الله في جميع الأحوال؛ كما في الخبر: (يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها) [1]، فيصل إلى درجة الصالحين والأولياء ويبلغ ما بلغوا، والله أعلم.

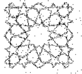
فإذا بلغ المريد إلى هذه الدرجة صار من الربانيين؛ كما قال تعالى :

---

(١) تقدم تخريجه.



﴿ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران٧٩] ، ولا يكون كذلك إلا بالعلم النازل بالوحي على قلب سيد المرسلين، مع الإخلاص، والصواب، وإتعاب الأبدان بالتعبد والإنابة والمناجاة ودوام الذكر والأوراد؛ لأن المنازل العالية في الجنة لا تُشيَّد ولا تُرفع إلا بالأعمال في الدنيا، لأن الدنيا مزرعة الآخرة، والحصاد يكون في الآخرة، فيصلون إلى النعيم المقيم أبد الآباد ، اللهم مُنَّ علينا من جودك الذي لا يعسر عليك (آمين).



المقالة الثامنة والستون

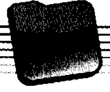
قال رحمه الله :

الذين يدخلون الأسواق التي فيها البيع والشراء والتجارة وهم من أهل الدين والصلاح أنواع :

منهم من إذا دخل السوق أفتتن من رؤيته زخارف الدنيا وشهواتها، فيكون سبب غفلته ونسيانه الذكر، إلا إن مَنَّ الله عليه برحمته وذَكَرَ الله وذَكَّرَ غيره .

ومنهم من إذا دخل تصبَّر، وجاهد نفسه، ولا همه شيء، فهو مثل المجاهد ينصره الله ويعينه على نفسه وهواه وشيطانه، ويكتب له الخير الجزيل يوم القيامة والله أعلم .

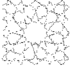
ومن العباد من إذا رأى شهوة من المباح اشتراها، ونَوَى بها الإعانة على



طاعة الله، أو الهدية منها، أو الصدقة، أو إهداء للقريب أو الجار؛ فهذه طريقة أهل العقل من العلماء ومن شابههم .

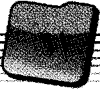
ومن العباد من لا يهتم بها ولا ينظر إليها، فهو مستغرق بذكر ربه - جلَّ وعلا- فلا ينظر إليها ببصر العين، ولا ينظر إليها ببصر القلب .

ومن الناس من يدخل السوق قصده ذكر ربه، ويصير في قلبه الرحمة لإخوانه المسلمين على غفلتهم عن ذكر ربهم، فهذا مثل الكبريت الأحمر ، والله أعلم.

 المقالة التاسعة والستون

قال رحمه الله :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته، ولزوم ظاهر الشرع، وسلامة الصدر، وسخاء النفس، وبشاشة الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى، وحفظ حرمة علماء المسلمين وأهل الصلاح والإصلاح، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للعامة، وترك الخصومات، ومجانبة الافتخار، وترك صحبة من لا يعينك على الدين ، وحقيقة الفقر: أن لا تفتقر إلى من هو مثلك، وحقيقة الغنى: أن تستغني عمن هو مثلك.



المقالة السبعون

قال رحمه الله :

أوصيك بتقوى الله - جلّ وعلا- والأدب مع الله، ومن صحب الأغنياء يصحبهم بالتعزز، ومن صحب الفقراء يصحبهم بالتذلل، وعليك بالإخلاص: وهو دوام المراقبة لله في كل الأحوال.

ولا تضيع حقوق إخوانك المسلمين، مثل ما جاء عن المصطفى ﷺ من حق المسلم على المسلم[1]، وعليك بصحبة أهل الخير المفتقرين إلى ربهم، وعليك بالسخاء، فسخاء المال: البذل بنيَّة، وسخاء الأبدان: بالسعي إلى مواضع العبادة، وبذل العلم والنصح، وقضاء الحاجة للمحتاج، وخدمة الصالحين لها أثر عجيب.

والتكبر على من هو دونك ضعف، وعلى من هو فوقك محنة، وعلى من هو مثلك سوء خلق.

والعبادة والولاية والأنس بالله كلها جِدٌّ لا يخالطها هزل - وفقنا الله وإياكم- .

ويا عبد الله الصالح علمك يذكّرك كل خير وحال، فإنه للخير جامع، واعتصم بحبل الله، فإنه لكل ضرر قامع ودافع، وعليك بالتأهب للقضاء فإنه واقع.

واعلم أنك مسؤول عن الحركات والسكنات، فاشتغل بما هو أولى في الوقت، وعليك بحسن الظن بالمسلمين، وإصلاح النية والسعي في حاجة المسلم، ولا تبيت وفي قلبك لأحد غش، وعليك بأكل الحلال، وتصدَّق في كل صباح على من اغتَابَك.

---

(١) رواه البخاري (١١٨٣)(٤١٨/١)، ومسلم (٢١٦٢)(١٧٠٤/٤) وغيرهم؛ وسأذكر الحديث واللفظ للبخاري: عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ : (يقول حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس).

المقالة الحادية والسبعون

قال رحمه الله :

كن مع الله بلا خَلْق، ومع الخلقِ بلا نفس. المعنى: إذا تعبدت وفعلت خيرًا يكون خالصًا، ولا تترك عملاً خشية مخلوق ولا رضًا له، ولا تعمل خشية مخلوق، ولا طلب المدح منهم، ويصيرون كأنهم معدومون ومع الخلق بلا نفس، ما ترى نفسك فوقهم، ولا تمدح نفسك، ولا ترى أنك أهل أن تكرم وتزكّى، وهذا هو العدل والتوقي، ويسمى هذا (فَنَاء)؛ يعني: أنه يذهب عن قلبه كل شيء غير الله، وهذه هي المعرفة.

قال بعضهم: الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين، والمعرفة عمل الأبد.

المقالة الثانية و السبعون

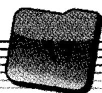
قال رحمه الله :

لأهل المجاهدة والمعرفة والصدِّيقيَّة عشر خصال:

الأولى : **ما يحلف بالله لا صادقًا ولا كاذبًا**، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له بابًا من أنوار معرفته، يعرف هذا بقلبه.

الثانية : **يجتنب الكذب هازلاً أو جادًا**، فإذا فعل ذلك واعتاده؛ شرح الله صدره، وصفا علمه من الكدر.

الثالثة : **يحذر أن يعد أحدًا فيخلفه**، وهذا يصير من الكذب، فإذا اعتاد الصدق في الوعد فتح له باب السخاء ودرجة الأولياء.



الرابعة : أن لا يؤذي أحدًا ويلعنه، وهذا له عاقبة حسنة في حفظ الله إياه؛ ويرزقه الرحمة بالعباد.

الخامسة : أن لا يدعو على أحد من الخلق ولو ظلمه، ولا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بفعاله؛ فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى، وتوجب له الحب والمودة في قلوب الخلق، والعِزّ في الدنيا والآخرة.

السادسة : **أن لا يشهد على أحد من الناس بكفر أو شرك أو نفاق وهو من أهل القبلة**، وهي من تمام السنة وأقرب إلى رضا الله ورحمته، فإنه بابٌ كريمٌ على الله عز وجل .

السابعة : أن يجتنب النظر إلى المحرمات مطلقاً، فإن هذا من أعظم الأعمال.

الثامنة : أن يحرص أن لا يكون لأحد عليه مِنَّة، بل يرفع مؤنته عن الخلق، فإن هذا من تمام عز المتقين وشرف العابدين، وبه يقوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الناس عنده بمنزلة واحدة.

التاسعة : **أن لا يعيش بدينه ويأكل به**، وكان السلف يهربون من هذا ويخشون أن يكون جزاء على علمهم وتعليمهم، فمنهم من يعمل الآجُرّ مثل: (الآجُرِّي)، ومنهم من يبيع القطن مثل: (يحيى القطان)، ومنهم من يخيط الثياب للناس بالأجرة، ومنهم من يبيع الخِرَق مثل: (الخِرَقِي)، وكثير ما يحصى من هذا النوع.

العاشرة : **التواضع**، وبه تثبت مودته بين الخلق؛ لأن الناس لا يحبون الذي يتكبر عليهم بعلمٍ، أو مالٍ، أو جاهٍ، أو عشيرةٍ، أو غيرها، ولهذا إذا أراد الله أن يُعِزَّ عبده ويرفعه في حياته وبعد وفاته: ألبسه هذه الحُلَّة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وهذا هو أصل الطاعات وأساسها، ولا يلقى أحدًا إلا رأى له الفضل عليه، يقول: عسى أن يكون بينه وبين ربه خير ليس فِيَّ. فيرحم الصغير، ويوقر الكبير، فإذا كان العبد كذلك عافاه الله من الغوائل، وبلغ به منازل أهل النصح لله، وكان من أصفياء الرحمن، ومن أعداء إبليس؛ لأنه إذا تواضع أغضب إبليس؛ لأنه يحب أن يذهب عمله، وتذهب أيامه على ذلك ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص ١٥].

وصلى الله وسلم على خاتم رسله وأنبيائه ، والحمد لله رب العالمين .

فهرس